اوراق معرفية

مجلة فصلية تعنى بالمعرفة الدينية والثقافية
العدد الثاني/ السنة الأولى/ شوال ١٤٣٨ - تموز ٢٠١٧

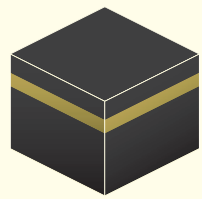

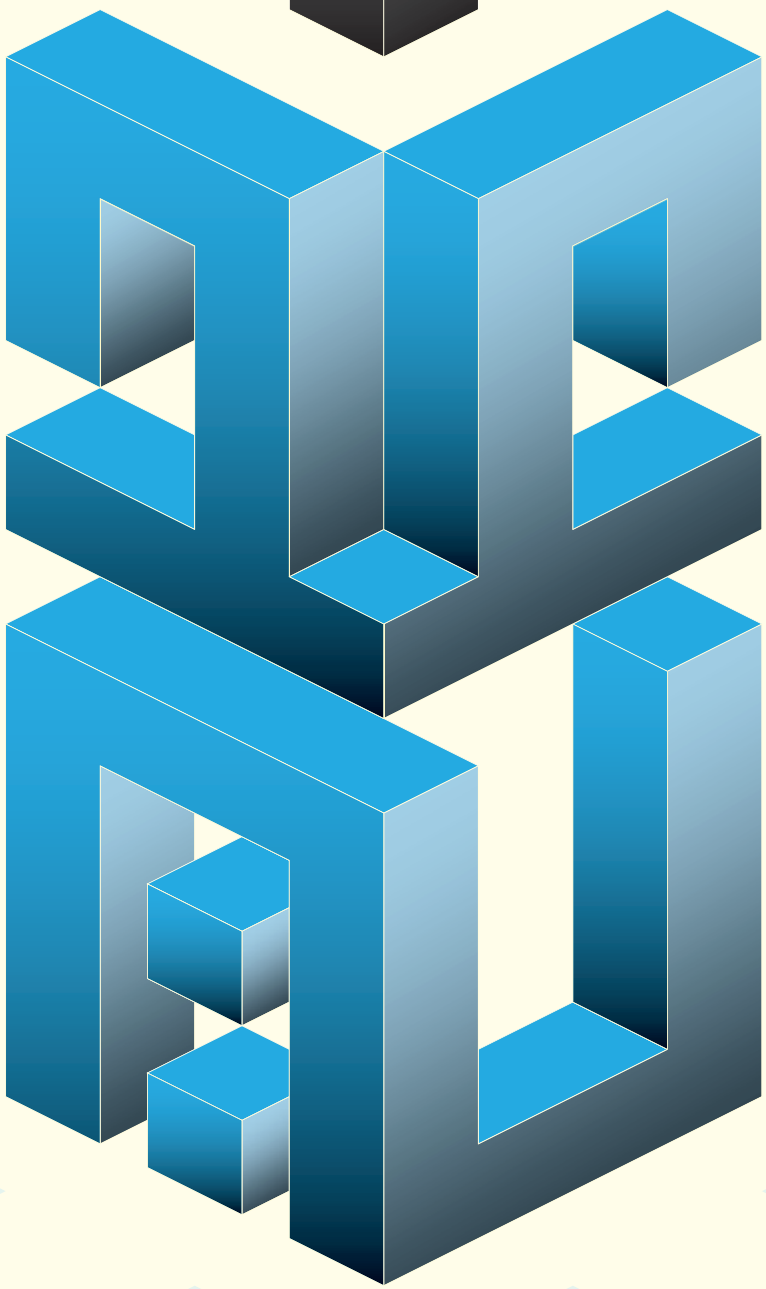

معنى التفسير بالرأي
آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

لا انسانية بلا حرية
الشيخ محمّد جواد مغنية

عبادة الجاهل
الوحيد البهبهاني

أهمية الغدير في التاريخ
العلامة الأميني

جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية تعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد الثاني/ السنة الأولى
شوال 1438هـ-تموز 2017م

أوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

مدير التحرير

بدر العلي

سكرتير التحرير

حسن علي الجوادي

هيأة التحرير

حارث الداحي – موفق هاشم

مهند السهلاني – حسين علي الشامي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

محمد قاسم عرفات

المحتويات

١٠ معنى التفسير بالرأي
آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

١٢ ضابطة التأويل القرآني
الشيخ محمد هادي معرفة

١٦ المحكمات أم الكتاب
العلامة الطباطبائي

١٨ وقفة للتدبر
الشيخ البلاغي

٢٠ الموضوعية في البحث عن الدين...
آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم دام ظله

٢٣ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٢٨ عصمة النبي وتنزيهه عن المنفرات
ابن ميثم البحراني

٣٠ لا انسانية بلا حرية
الشيخ محمّد جواد مغنية

٣٢ أدوار الفكر الاصولي
السيد منير الخباز

٣٥ عبادة الجاهل
الوحيد البهبهاني

٣٩ بحث في الأحكام الشرعية
الميرزا جواد التبريزي

٤١ التقية
الشيخ الأعظم الأنصاري

٤٣ مدرسة الكوفة الفقهية
الشيخ محمد مهدي الآصفي

٤٦ أهمية الغدير في التاريخ
العلامة الأميني

٥٠ إضطراب التاريخ
الشيخ محمد رضا المظفر

٥١ ملامح من ثورة الحسين عليه السلام
الشيخ محمد مهدي شمس الدين

٥٤ الرئيس الصديق...
عباس محمود العقاد

٥٦ استصغار الذنب
المحقق الداماد

٥٩ التشاور والعزم والتوكل
محمد تقي فلسفي

٦١ أهمية الطبقة العامّة في المجتمع
الشيخ محمد السند

٦٣ قيمة وخصائص الأسرة المنظمة
د. علي قائمي

٦٦ تأثير المزاج على الأخلاق
الشيخ محمد مهدي النراقي

٦٨ الهجاء في معرض المدح
ابن أبي الأصبع

٧٠ جريدة الهاتف
إعداد أوراق

٧٣ ولادة الهلال
المهندس محمّد علي الصائغ

٧٧ رسالة الحسين
الشيخ أحمد الوائلي

٧٨ في الغدير
الشيخ الحر العاملي

٧٩ قل للمعاند قد ضللت
الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

الورقة الأولى...

في كتاب الله العزيز وحديث أئمة الهدى علوم ومعارف لا تحصى.. وفيها من الحقائق الساطعة -التي لا تحجبها ظُلمات أهل الدنيا وشياطينها- ما ينير حياة الإنسان وينظم سلوكه ومعاشه ويحدد ما له وما عليه في دار الدنيا، وما يسعده في الدار الآخرة.

والحمد لله بأن مَنَّ علينا برجال عظماء قد وفقوا لاستنطاق ما جاء بكتابه سبحانه وتعالى وحديث المعصومين عليهم السلام، متبعين قول صادق آل البيت عليهم السلام: «**إنَّما علينا أن نلقي عليكم الأصول وعليكم أن تفرّعوا**»[1]، ليخرجوا منها كنوز العلم والمعرفة للعالم أجمع، حيث استنبطوا منها النظريات والقوانين والمبادئ التي تنهض بها المجتمعات والأمم، ويرتقي بها الإنسان إلى مراتب الكمال والجمال في الدارين.. فجدوا واجتهدوا حتى سبقوا وفاقوا ما جاء به غيرهم من علوم ونظريات في مختلف العلوم لا سيما تلك العلوم التي يتباهى بها فلاسفة الغرب والمادية اليوم؛ كعلم النفس والفلسفة والاجتماع.. وغيرها من العلوم الانسانية.

وفي أوراقنا هذه مدادٌ من تلك الأقلام العظيمة التي أنارت طريق العلم والرشاد للماضين.. نأمل منها أن تنير لقراء مجلتنا طريق العلم والمعرفة، وتقودهم للسير على نهج الأئمة الهداة عليهم السلام.

سائلين المولى عزّ وجلّ أن يبارك لنا في علمائنا الأحياء.. ويرحم الأموات منهم بحق محمد وآله الأطهار عليهم السلام.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ٤٠، ح ٥١.

معنى التفسير بالرأي

آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

المحكمات أم الكتاب

العلامة الطباطبائي

ضابطة التأويل القرآني

الشيخ محمد هادي معرفة

وقفة للتدبر

الشيخ البلاغي

معنى التفسير بالرأي

آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض دام ظله

الروايات الناهية عن تفسير القرآن بالرأي..

قد ورد في بعض هذه الروايات «ان من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب، وما آمن بي من فسر كلامه برأيه». وهكذا، وتقريب الاستدلال بها إنَّ حَمْلَ القرآن على ظاهره من التفسير بالرأي وهو ممنوع.

والجواب: إن حملَ اللفظ على ظاهره عرفاً ليس من التفسير فضلاً عن كونه بالرأي؛ لأن معنى التفسير كشف القناع وازالة الستر، ولا قناع للظاهر ولا ستر له؛ لأنه ليس مستوراً بل مكشوف، ولو سلمنا انه تفسير ولكنه ليس من التفسير بالرأي، لوضوح ان حمل اللفظ على ظاهره العرفي ليس من التفسير بالرأي وان سلمنا انه تفسير.

وعلى هذا فحمل الكتاب على معناه الظاهر فيه عرفاً ليس مشمولاً لتلك الروايات.

ثم ان المراد بالرأي في هذه الروايات احد المعنيين:

الاول: ان المراد به تفسير القرآن حسب رغبته وميله الذاتي والشخصي لا الموضوعي، بمعنى ان موقفه الشخصي يتطلب تفسير القرآن موضوعياً، وبقطع النظر عن موقفه الذاتي الذي لا واقع موضوعي له.

الثاني: ان المراد من المدرسة الفقهية التي كانت قد أُسِّسَت في مقابل مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنها غالباً كانت مبنية على الافكار والنظريات التخمينية والظنية كالاستحسانات والقياسات ونحوهما كمدرسة أبي حنيفة وغيرها.

ومن الواضح انه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي بكلا هذين المعنيين.

وأما الرأي بمعنى الاجتهاد والاستنباط حسب القواعد والموازين المقررة في الاصول، فهو مسموح به شرعاً بل لا بد منه؛ لان عملية الاجتهاد والاستنباط -التي هي عبارة عن تطبيق القواعد العامة على عناصرها الخاصة في الحدود المسموح بها شرعاً- ضرورية بضرورة الدين هذه العملية.

[المباحث الاصولية]

ضابطة التأويل القرآني

الشيخ محمد هادي معرفة

ان للأخذ بدلائل الكلام -سواء اكانت جلية أم خفية- شرائط ومعايير، لابد من مراعاتها للحصول على الفهم الدقيق، فكما ان لتفسير الكلام.. قواعد واصولاً مقررة في علم الاصول والمنطق، كذلك كانت لتأويل الكلام -وهو الحصول على المعاني الباطنية للقرآن- شرائط ومعايير، لا ينبغي اعفاؤها والا كان تأويلا بغير مقياس، بل كان من التفسير بالرأي الممقوت.

وليعلم ان التأويل -وهو من الدلالات الباطنية للكلام- داخل في قسم الدلالات الإلزامية غير البينة، فهو من دلالة الالفاظ لكنها غير البينة، ودلالة الالفاظ جميعا مبتنية على معايير يشرحها علم الميزان، فكان التأويل -وهو دلالة باطنة- بحاجة إلى معيار معروف كي يخرجه عن كونه تفسيرا بالرأي.

فمن شرائط التأويل الصحيح اي التأويل المقبول في مقابلة التأويل المرفوض:

أولا: رعاية المناسبة القريبة بين ظاهر

الكلام وباطنه، اي بين الدلالة الظاهرية وهذه الدلالة الباطنية للكلام، فلا تكون اجنبية، لا مناسبة بينها وبين اللفظ ابدا، فإذا كان التأويل -كما عرفناه- هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام، كان لا بد ان هناك مناسبة لفظية أو معنوية استدعت هذا الانتزاع.

مثلا: لفظة (الميزان) وضعت لآلة الوزن المعروفة ذات الكفتين، وقد جاء الأمر بإقامتها وعدم البخس فيها، في قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾[1]. لكنا إذا جردنا اللفظ من قرائن الوضع وغيره واخلصناه من ملابسات الانس الذهني، فقد اخذنا بمفهومه العام: كل ما يوزن به الشيء، اي شيء كان ماديا ام معنويا، فانه يشمل كل مقياس أو معيار كان يقاس به أو يوزن به في جميع شؤون الحياة، ولا يختص بهذه الآلة المادية فحسب.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: فالميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان، والوزن يعدل في ذلك ولولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق، فلذلك نبه تعالى على النعمة فيه والهداية اليه وقيل: المراد بالميزان: العدل، لأن المعادلة موازنة الاسباب[2].

وروى محمد بن العباس المعروف بماهيار -في كتابه الذي وضعه لبيان تأويل الآيات- بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: الميزان الذي وضعه الله للأنام، هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل، وبالعدل تقوم السماوات والارض، وقد امر الناس ان لا يطغوا عليه ويطيعوه بالقسط والعدل، ولا يبخسوا من حقه، أو يتوانوا في امتثال أوامره[3].

وهكذا قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾[4] كانت دلالة الآية في ظاهر تعبيرها واضحة، ان نعمة الوجود ووسائل العيش والتداوم في الحياة، كلها مرهونة بإرادته تعالى وفق تدبيره الشامل لكافة انحاء الوجود.

والله تعالى هو الذي مهد هذه البسيطة لإمكان الحياة عليها، ولولا فضل الله ورحمته لعباده لضاقت عليهم الارض بما رحبت.

هذا هو ظاهر الآية الكريمة، حسب دلالة الوضع والمتفاهم العام.

وللإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام بيان يمس جانب باطن الآية ودلالة فحواها العام، قال: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون». وقال الإمام على الرضا عليه السلام:

(١) الرحمن: ٩.

(٢) التبيان، ج٩، ص ٤٦٣.

(٣) نقلا بالمعنى، راجع: تأويل الايات الظاهرة للسيد شرف الدين الاسترابادي، ج٢ - ص ٦٣٢-٦٣٣.

(٤) الملك: ٣٠.

(ماؤكم: ابوابكم الائمة، والائمة: ابواب الله فمن يأتيكم بماء معين، اي يأتيكم بعلم الإمام)[٥].

لا شك ان استعارة (الماء المعين) للعلم النافع، ولا سيما المستند إلى وحي السماء-من نبي أو وصي نبي صلى الله عليه وآله امر معروف ومتناسب لا غبار عليه. فكما ان الماء اصل الحياة المادية والمنشأ الأول لإمكان المعيشة على الارض، كذلك العلم النافع وعلم الشريعة بالذات، هو الاساس لإمكان الحياة المعنوية التي هي سعادة الوجود والبقاء مع الخلود.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٦]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٧] فهنا قد لوحظ الماء -وهو اصل الحياة- في مفهومه العام المنتزع منه الشامل للعلم، فيعم الحياة المادية والمعنوية.

وايضا قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[٨]، اي فليمعن النظر في طعامه، كيف عملت الطبيعة في تهيئته وتمهيد امكان الحصول عليه، ولم ياته عفوا، ومن غير سابقة مقدمات وتمهيدات لو امعن النظر فيها، لعرف مقدار فضله تعالى عليه، ولطفه ورحمته، وبذلك يكون تناول الطعام له سائغا، ومستدعيا للقيام بالشكر الواجب.

وقد روى ثقة الاسلام الكليني بإسناده إلى زيد الشحام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قلت: ما طعامه؟ قال: (علمه الذي يأخذه عمن يأخذه)[٩].

والمناسبة هنا -ايضاً- ظاهرة؛ لأن العلم غذاء الروح، ولا بد من الاحتياط في الاخذ من منابعه الاصيلة، ولاسيما علم الشريعة واحكام الدين الحنيف.

وثانيا: مراعاة النظم والدقة في الغاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام، ليخلص صفوه ويجلو لبابه في مفهومه العام، الأمر الذي يكفله قانون (السبر والتقسيم) من قوانين علم الميزان (علم المنطق) والمعبر عنه في علم الاصول: بتنقيح المناط، الذي يستعمله الفقهاء للوقوف على الملاك القطعي لحكم شرعي، ليدور التكليف أو الوضع معه نفيا واثباتا، ولتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد، لا بخصوص العنوان الوارد في لسان الدليل، وهذا امر معروف في الفقه، وله شرائط معروفة.

(٥) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٢، ص ٧٢٧.

(٦) الأنفال: ٢٤.

(٧) آل عمران: ١٦٤.

(٨) عبس: ٢٤.

(٩) تفسير البرهان، ج٤، ص ٤٢٩.

ومثال تطبيقه على معنى قرآني، قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[10]. هذه قولة نبي الله موسى عليه السلام قالها تعهدا منه لله تعالى، تجاه ما انعم عليه من البسطة في العلم والجسم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[11] قضى على عدوِّله بوكزة وكزه بها، فحسب انه قد فرط منه ما لا ينبغي له، فاستغفر ربه فغفر له فقال ذلك تعهدا منه لله، ان لا يستخدم قواه وقدره الذاتية، والتي منحه الله اياها، في سبيل الفساد في الارض، ولا يجعل ما آتاه الله من امكانات معنوية ومادية في خدمة اهل الاجرام.

هذا ما يخص الآية في ظاهر تعبيرها بالذات.

وهل هذا أمر يخص موسى عليه السلام لكونه نبياً ومن الصالحين، ام هو حكم عقلي بات يشمل عامة اصحاب القدرات، من علماء وادباء وحكماء وارباب صنائع وفنون، وكل من آتاه الله العلم والحكمة وفصل الخطاب؟ لا ينبغي في شريعة العقل ان يجعل ذلك ذريعة سهلة في متناول اهل العبث والاستكبار في الارض، بل يجعلها وسيلة ناجحة في سبيل اسعاد العباد واحياء البلاد ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[12].

وهذا الفحوى العام للآية الكريمة انما يعرف وفق قانون (السبر والتقسيم) والغاء الخصوصيات المكتنفة بالموضوع، فيتنقح ملاك الحكم العام.

وفي القرآن كثير من هذا القبيل، انما الشأن في امعان النظر والتدبر في الذكر الحكيم، وبذلك يبدو وجه استفادة فرض الاخماس من آية الغنيمة، ودفع الضرائب من آية الانفاق في سبيل الله.

[التفسير والمفسرون]

(١٠) القصص: ١٧.

(١١) القصص: ١٤.

(١٢) هود: ٦١.

المحكمات أم الكتاب

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

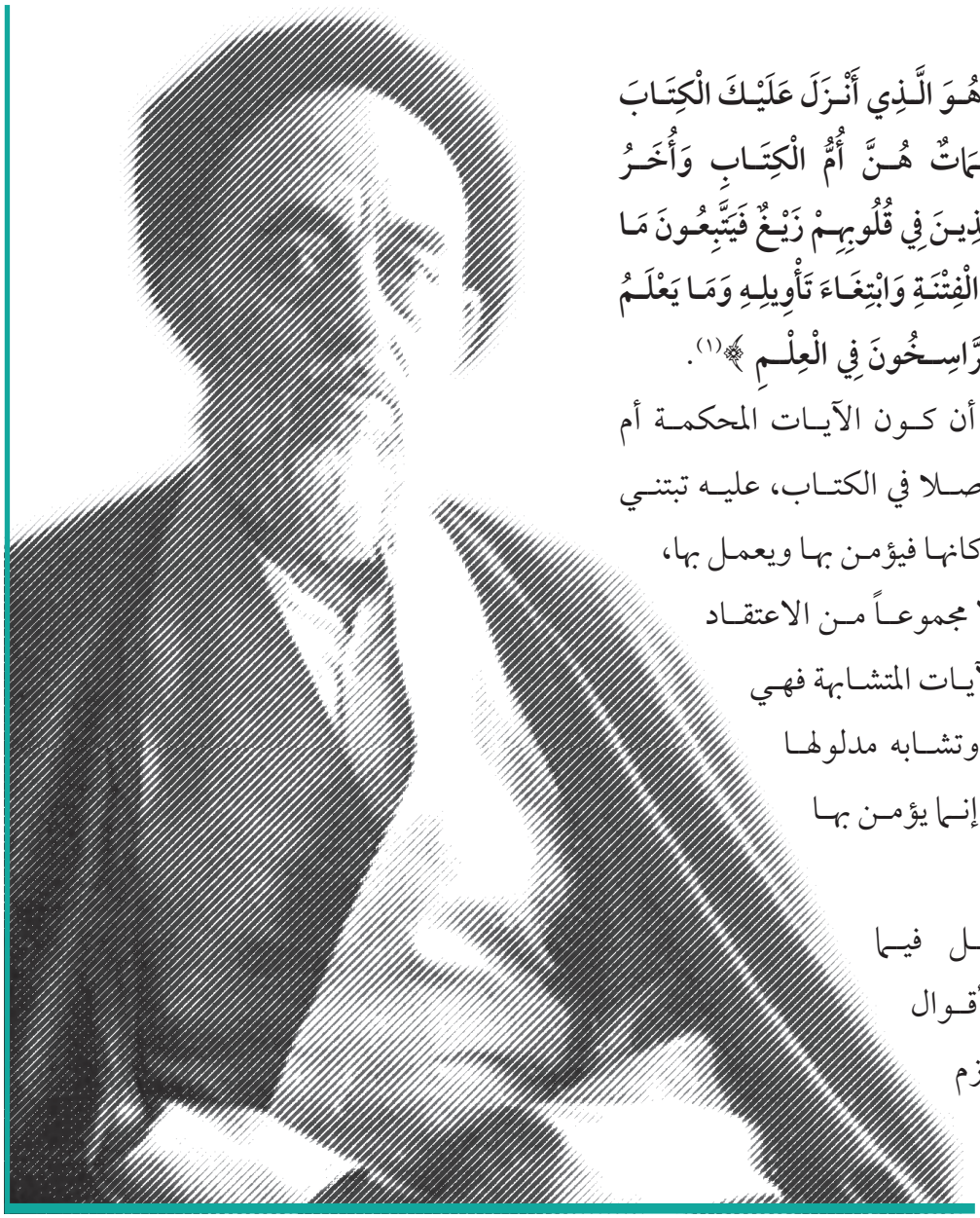

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1].

ذكر جماعة: أن كون الآيات المحكمة أم الكتاب كونها أصلا في الكتاب، عليه تبتني قواعد الدين وأركانها فيؤمن بها ويعمل بها، وليس الدين إلّا مجموعاً من الاعتقاد والعمل، وأما الآيات المتشابهة فهي لتزلزل مرادها وتشابه مدلولها لا يعمل بها بل إنما يؤمن بها إيمانا.

وأنت بالتأمل فيما تقدم من الأقوال تعلم: أن هذا لازم بعض الأقوال

(١) آل عمران: ٧.

المتقدمة، وهي التي ترى أن المتشابه إنما صار متشابها لاشتماله على تأويل يتعذر الوصول إليه وفهمه، أو أن المتشابه يمكن حصول العلم به ورفع تشابهه في الجملة أو بالجملة بالرجوع إلى عقل أو لغة أو طريقة عقلائية يستراح إليها في رفع الشبهات اللفظية.

وقال آخرون: إن معنى أمومة المحكمات رجوع المتشابهات إليها، وكلامهم مختلف في تفسير هذا الرجوع، فظاهر بعضهم: أن المراد بالرجوع هو قصر المتشابهات على الإيمان والاتباع العملي في مواردها للمحكم كالآية المنسوخة يؤمن بها ويرجع في موردها إلى العمل بالناسخة، وهذا القول لا يغاير القول الأول كثير مغايرة، وظاهر بعض آخر أن معناها كون المحكمات مبينة للمتشابهات، رافعة تشابهها.

والحق هو المعنى الثالث، فإن معنى الأمومة الذي يدل عليه قوله:

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يتضمن عناية زائدة وهو أخص من معنى الأصل الذي فسرت به الأم في القول الأوّل، فإن في هذه اللفظة أَعني لفظة الأمَ عناية بالرجوع الذي فيه انتشاء واشتقاق وتبعض، فلا تخلو اللفظة من الدلالة على كون المتشابهات ذات مداليل ترجع وتتفرع على المحكمات، ولازمه كون المحكمات مبينة للمتشابهات.

على أن المتشابه إنما كان متشابها لتشابه مراده لا لكونه ذا تأويلَ، فإن التأويل -كما مرّ- يوجد للمحكم كما يوجد للمتشابه، والقرآن يفسر بعضه بعضا فللمتشابه مفسر وليس إلّا المحكم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢]، فإنها آية متشابهة، وبإرجاعها إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٤] يتبين: أن المراد بها نظرة ورؤية من غير سنخ رؤية البصر الحسي، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[٥] إلى أن قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٦]، فأثبت للقلب رؤية تخصّه، وليس هو الفكر فإن الفكر إنما يتعلق بالتصديق والمركب الذهني والرؤية إنما تتعلق بالمفرد العيني، فيتبين بذلك أنا توجه من القلب ليست بالحسيّة الماديّة ولا بالعقلية الذهنية، والأمر على هذه الوتيرة في سائر المتشابهات.

(٢) القيامة: ٢٣.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) النجم: ١١، ١٢.

(٦) النجم: ١٨.

وقفة تدبر

الشيخ محمد جواد البلاغي

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما﴾ أي مثل يكون بحسب المناسبة في التمثل سواء كان بالحقير ام بالخطير، والآية تشعر بأنها توبيخ لمن استنكر ضرب الله الأمثال ويجوز ان يكون لمنع الاعتراض على ضرب الله للمثلين المتقدمين وغيرهما، وان لم يسبق من احد اعتراض. ورويت في نزولها اسباب ولم تصح ولا تسلم من وجوه الشك والخدشة.

ولا يخفى ان في ضرب المثل فوائد كبيرة في التلقين والفهم لا تحصل بدونه. فإنه بتمثيله بالمحسوسات والمعهودات والمألوفات يشتد تأثر النفس بها ويستلفت الذهن الى الإقبال على فهم الأمر الممثل له فيستحكم تأثر النفس به.

ومعنى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ هو ان ضرب المثل -مع ما فيه من الحكمة واللطف في البيان- لا يتركه الله لأجل حقارة الممثل به او ان الممثل له أعظم منه بكثير. وقد اقتضت المناسبة والتشبيه ان يستعار للترك المذكور لفظ الاستحياء الذي هو انفعال في النفس وخجل يمنع عن إبداء الشيء، وان تعلق به غرض ﴿بَعُوضَةً﴾ من هذا البعوض المستحقر لصغره ﴿فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ والجاري على الحكمة في بيان الحقيقة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ على سبيل الاستنكار والاستخفاف ﴿ما ذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلًا﴾ والظاهر انهم يقولون ﴿أَرادَ اللهُ﴾ على سبيل الاستهزاء بدعوى الرسول ان المثل وحي منزل من الله فإن الكافرين بل والمنافقين ينكرون الوحي المذكور ولو اعترفوا به لما قالوا قولهم هذا. وقد اعرض الله عن بيان ما أراد بالمثل فإن بيانه مقرون به وعن ذكر فائدته فإن حكمته ومغزاه ونتيجته واضحة لا يتجاهل فيها إلا السفيه المعاند ولكنهَ جل شأنهَ أجابهم بعاقبته السيئة بالنسبة إليهم فيما هم عليه من العناد وبأثره الحميد بالنسبة للمؤمنين، فقال جل اسمه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾ من الناس المنكرين على المثل او المستهزئين، أي تكون عاقبتهم في ذلك الضلال وان أراد الله به تفهيمهم وهدايتهم. وذلك كما قيل: (فلان قتل فلاناً بحلمه) فإنه لم يرد بحلمه إلا فضيلته ولكن صارت عاقبته ان فلاناً الآخر اغتر بجهله واجترأ على آخر فقتله فنسب القتل الى فلان الأول باعتبار ان حلمه كانت عاقبته قتل ذلك المغتر بسوء اختياره ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ وهم المؤمنون إذ يتدبرونه ويهتدون بمفاده ويعرفون حكمته...

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

الموضوعية في البحث عن الدين...
آية الله العظمى السيد محمّد سعيد الحكيم دام ظله

عصمة النبي وتنزيهه عن المنفرات
ابن ميثم البحراني

منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

لا انسانية بلا حرية
الشيخ محمّد جواد مغنية

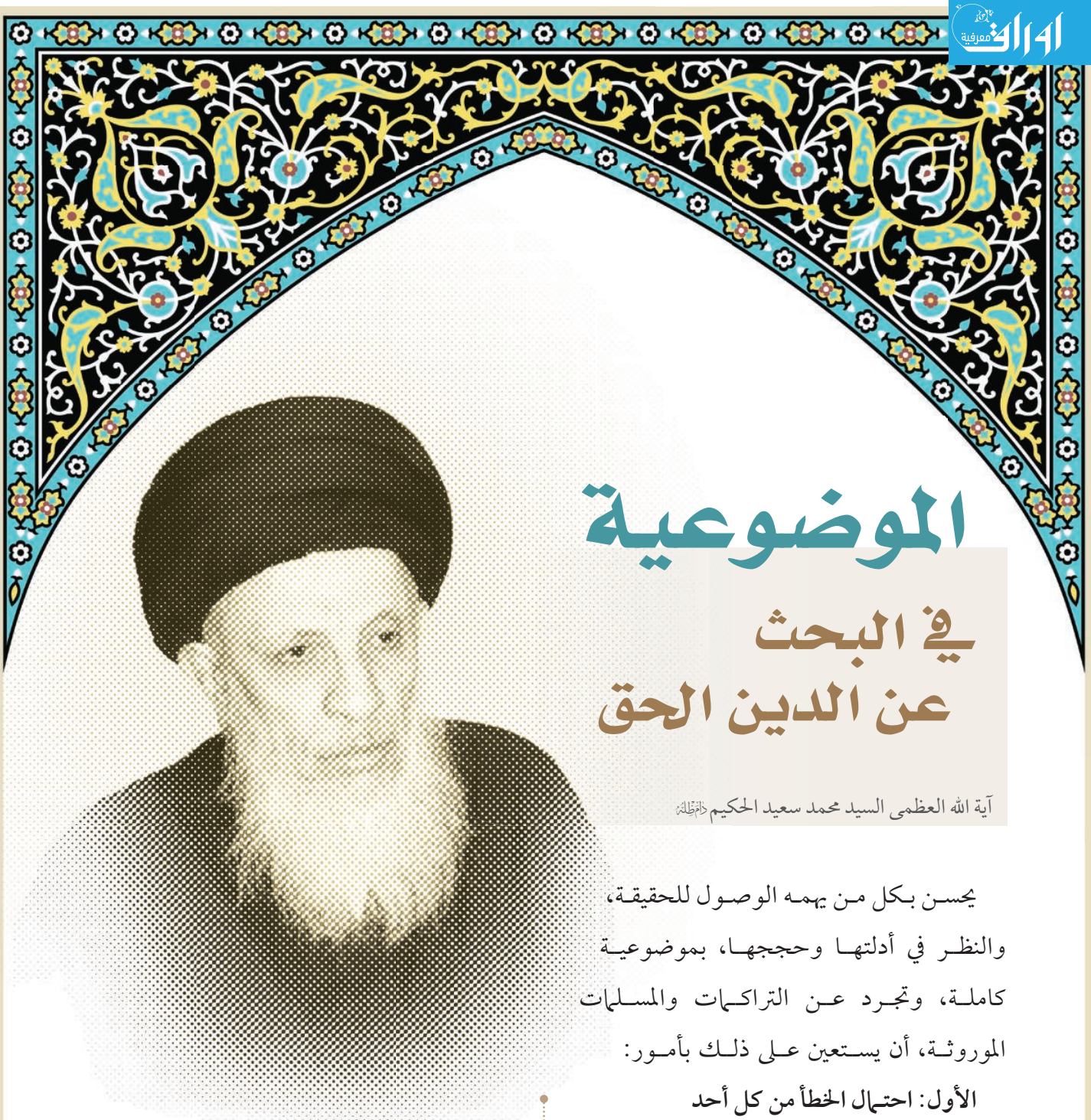

الموضوعية في البحث عن الدين الحق

آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

يحسن بكل من يهمه الوصول للحقيقة، والنظر في أدلتها وحججها، بموضوعية كاملة، وتجرد عن التراكمات والمسلمات الموروثة، أن يستعين على ذلك بأمور:

الأول: احتمال الخطأ من كل أحد

أن يضع في حسابه من أول الأمر احتمال الخطأ في كل عقيدة تفرض مهما كان لها من أتباع؛ لأن الناس لم تختلف في عقائدها نتيجة اختلاف مستوياتها العرقية أو الفكرية أو الثقافية أو غيرها، بل كثير من العقائد المختلفة حدّ التقاطع والتناقض قد حصل لكل منها أتباع من ذوي المستويات العالية في المعرفة والثقافة من مختلف القوميات والأقطار. حيث يكشف ذلك عن أن الخطأ في العقيدة متوقع من كل أحد.

ولا ينبغي أن يجرّ حسن الظن بالأتباع للبناء

على صحة عقيدتهم الدينية، واستبعاد الخطأ عليهم مهما كان شأنهم. بل ينبغي أولاً النظر في أصول العقيدة، وفي أدلتها بموضوعية كاملة، حتى إذا اتضح حالها يحكم على أتباعها بما يناسبها من خطأ أو صواب، وهدى أو ضلال، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعرف الحق تعرف أهله**»[1] وقال الحارث بن حوت لأمير المؤمنين عليه السلام: (أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟! فقال عليه السلام: «**يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه**»[2].

الثاني: تحديد دلالة الدليل

إن كل دليل يطلع عليه الباحث، قد أقيم على قضية دينية حساسة يقرّ به، أو ينكره، فليفرض أن نظيره قد أقيم على قضية أخرى غير حساسة، أو حساسة باتجاه معاكس لاتجاه القضية التي استدل عليها بذلك الدليل. فإن رآه صالحاً لأن يثبت تلك القضية الأخرى فهو صالح لأن يثبت القضية التي استدل عليها به، وإن لم يره صالحاً لذلك فهو غير صالح لأن يثبت تلك الحقيقة؛ لأن اختلاف الأمر المستدل عليه لا أثر له في قوة الدليل وضعفه.

غاية الأمر أنه قد يكون معارضاً في بعض الحالات دون غيره. وهذا أمر آخر يقتضي البحث في مشكلة المعارضة، ولا أثر له في صلوح الدليل بنفسه للاستدلال وعدمه.

فمثلاً إذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله حديث في حق بعض الصحابة ممن احتدم الخلاف فيه بين المسلمين مادح له أو قادح فيه، وأراد الباحث أن يعرف مدى دلالة ذلك الحديث، فليفرض أن نظير الحديث المذكور قد ورد عن النبي موسى عليه السلام في حق بعض أصحابه ممن لا يهمنا أمره، أو ورد عن النبي صلى الله عليه وآله نفسه في حق شخص آخر من صحابته تتبناه طائفة مناقضة للطائفة التي تتبنى الشخص الذي تناوله الحديث المذكور.

حيث يسهل عليه حينئذٍ تحديد دلالة ذلك الحديث بموضوعية كاملة بعيداً عن التعصب والتعسف.

الثالث: ينبغي الاهتمام بوضوح الحجة لا بإقناع الخصم

أن لا يهتم الباحث عند النظر في الأدلة بإقناع خصمه أو إسكاته بقدر اهتمامه بإدلاء حجته بين يدي الله عزّ وجلّ ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا**

(١) أنساب الأشراف، ٣: ٣٥ في وقعة الجمل، وص: ٦٤ مقتل الزبير بن العوام / تفسير القرطبي ١: ٣٤٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل**﴾ من سورة البقرة آية:٤٢ / تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٠ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٦٣ واللفظ له / تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٠ في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿يُظْلَمُونَ﴾[٣]. حيث يقف بين يديه تعالى فرداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يملك من وسائل السلامة إلا دليله وحجته.

وهو سبحانه اللطيف الخبير، لا يعجزه معرفة الدليل القويم من الدليل السقيم، ولا تنفع معه المكابرات والمغالطات. ثم هو الحاكم القاهر، والجازي بالعدل، أفضل الثواب، أو أشد العقاب.

فإن ذلك يحمل الباحث على أن يحكم أمره، وينظر في الأدلة والحجج بعقله ووجدانه، مجرداً عن كل شائبة، ليكون دليله ركنه الوثيق وصمام الأمان له يوم العرض الأكبر.

وأما من لم يذعن بعد بوجود الله عزّ وجلّ، وبوعده بالبعث والحساب، والثواب والعقاب، فلا أقل في حقه من احتمال وجود الله عزّ وجل، ولا طريق له لإنكاره من دون نظر في الأدلة. بل يقضي عقله بفطرته بالتحفظ والاحتياط في ذلك بالنظر في الأدلة بموضوعية كاملة، من دون لجاجة وعناد. ليأمن من الهلكة والخسران الدائم، ولاسيما مع ما نبّه له الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع بعض الزنادقة، حيث قال له: «**إن يكن الأمر كما تقول -وليس كما تقول- نجونا ونجوت، وإن كان الأمر كما نقول -وهو كما نقول- نجونا وهلكت**»[٤].

أما الاهتمام بإقناع الخصم فهو لا يضمن الوصول للحقيقة والخروج عن المسؤولية إزاءه؛ لأن الخصم قد يكون من السذاجة بحيث يقتنع بأضعف الأدلة، وقد يكون من العناد والتعصب بحيث لا يقتنع بأقوى الأدلة، بل قد يحاول الالتفاف عليها إذا كان متمرساً في الخصام والجدل.

نعم بعد الوصول للحقيقة عن طريق الاستدلال السليم والحجة الواضحة، وحصول القناعة بها نتيجة لذلك، يحسن الاهتمام بإقناع الخصم رغبة في هدايته، أو إسكاته دفعاً لشره وتهريجه.

هذه نصيحتنا للباحث عن الحقائق الدينية، بل عن كل حقيقة. ونأمل به أن يرعاها في حديثنا هذا في مراحله المختلفة.

[أصول العقيدة]

(٣) سورة النحل آية: ١١١.

(٤) بحار الأنوار: ٣، ٤٧.

منهج التثبت في شأن الدين

(الحلقة الأولى)

السيد محمد باقر السيستاني

١. أهمية البحث وضرورته.

تكمن أهمية هذا البحث في مساسه بحياة الإنسان؛ لأن الدين في الحقيقة ليس إلا رؤية كونية يشرح أبعاد هذه الحياة، ويثبت حقائق كبرى ثلاثاً فيها هي: وجود الله سبحانه وتعالى. ورسالته إلى الإنسان. وبقاء الإنسان بعد هذه الحياة سعيداً أو شقياً حسب أعماله وسلوكياته فيها.

وهذه الحقائق مما ينبغي بتّ كل إنسان في شأنها، فإنها ليست ضرباً من الترف الفكري إشباعا لحب الاطلاع، أو طلباً لمزيد من السعادة كالبحث عن المجرات وأحوالها وأساليب توفير الراحة ونحوها، وإنما تقع في صلب حياة الإنسان؛ لأنها تعيّن القواعد الأساسية لحياته العملية بما تمليه له من منهج عملي في حال توصله إلى إثبات هذه الحقائق أو احتمالها.. وهذا بخلاف ما إذا توصل المرء إلى نفيها القاطع؛ فإنه سوف يتحرّر عن محاسبة خطورتها.

٢. أدوات البحث: إدراكات العقل النظرية والعملية.

ويعتمد هذا البحث في أدواته على إدراكات العقل الواضحة التي هي من بديهيات الحياة الإنسانية العامة، ومرتكزاتها في كل خطوة من خطواتها، وكل جزئية من جزئياتها؛ وذلك أن من المعلوم أن الحياة الإنسانية تعتمد على ركنين:

أحدهما -ركن نظري-: وهو إدراك الأشياء من خلال العقل، فنحن كلنا نذعن بوجود أنفسنا، وحواسنا، وأعضائنا، والأشياء التي بين أيدينا من أشخاص وأدوات وأطعمة وغيرها، ونتفاعل معها، وننطلق في كل ذلك من بديهة قيمة الإدراك الإنساني، مع التثبُّت في مواقع احتمال الخطأ.

وإذا ادّعى امرؤ عدم قيمة الإدراك الإنساني فهو يغالط نفسه؛ لأن كل فعل ورد فعل من هذا المدّعي نفسه يبتني على الاعتماد على هذا الإدراك من حيث يحتسب أولا يحتسب.

الثاني -ركن عملي-: وهو إدراك قواعد العمل في الحياة، وهذا الجزء هو أساس القوانين التي تنظم حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وهو في أصله المصدر الأمّ لجميع القوانين التي تجري عليها الدول والحكومات. وإنْ كانت قد تختلف في تفاصيل هذا القانون من جهة الاختلاف في دقة الإدراك، أو في آليات مراعاة القانون، أو تغليبا لنوازع شخصية أو غير ذلك، وليس من الممكن لأحد إنكار وجود قواعد لحياة الإنسان يدركها بعقله، ويتعيّن الإلزام والالتزام بها لتأمين حياته، كيف؟ وإنما وجدت القوانين والآداب الاجتماعية بأنواعها من العرفية والوضعية والشرعية، ومن قوانين الأسرة والعشيرة والدولة لهذه الغاية، ولمّا كان هذا البحث ينطلق من هذه البديهيات العامة، ويستمد قيمة نتائجه من قيمتها، فهو يمثل إلزاماً عقلياً لكلّ إنسان عاقل يعترف بهذه البديهيات.

ولربما شكّك بعض مَن بحث في الفلسفة في قيمة الإدراك الإنساني والثقة به وأنكره آخرون، إلا أن إبطال مثل هذا التشكيك ليس بحاجة إلى أزيد من تنبيه المنكر وإلفات نظره إلى أنه بنفسه يجري على الاعتماد على الإدراك في كل تصرف من تصرفاته، حتى في إنكاره لقيمة مطلق الإدراك؛ لأنّ هذا الإنكار بنفسه إدراك وحكم عقلي، كما أنه مبني على مجموعة مدركات، فإنه يريد أن يبلّغ قيمة هذا الإدراك للآخرين، ففيه بتّ بوجود الآخرين وإدراكهم لما يقوله وسعي إلى إقناعهم وفق الأدوات التي تلائم تفكيرهم وفهمهم، وكل ذلك إنما هو تعامل مع واقعيات مدركة.

كما شكك بعض مَن بحث في الأخلاق في قيمتها ورأى أنه لا قواعد أخلاقية للحياة، وإنما ينطلق الإنسان -في تصرفاته ومشاعره- من منطلق القوة والضعف، إلا أن ذلك تشكيك نظيري يتناقض مع ما هو بنية حياة كل إنسان في تعامله مع الآخرين، ولا يتطلّب الرد عليه - كما هو الحال في سباقه أكثر من تنبيه على أن

المنكر بنفسه ينطلق في تعامله مع أسرته وأولاده وأصدقائه وأبويه وجيرانه وأساتذته وأرباب عمله من لياقات وآداب يراعيها، ويتوقع مراعاتها من الآخرين؛ فلو أساء إليه ابنه عاتبه بأنه كيف يفعل ذلك وهو أبوه؟! ولو نقض ربُّ عمله الاتفاق معه احتج عليه بأنه خلاف الاتفاق، وكل ذلك احتجاج بمفاهيم أخلاقية.

فاتضح مما تقدم: أن أصل قيمة الإدراك العقلي بقسميه النظري والعملي هي القاعدة الأساس لحياة الإنسان التي ينطلق منها بارتكازه وفطرته منها، ولا حاجة فيه إلى بحث إضافي أو أي استدلال.

٣. لزوم تثبت المرء في أمر الدين.

ونظراً إلى أنّ أحد بنود هذا الإدراك العقلي الواضح لزوم تثبت الإنسان في شأن الأمور الخطيرة المحتملة، فإنه يصح القول على الإجمال إن لزوم تثبت الإنسان في أمر الدين أو بتعبير آخر حول هذه الحقائق الكبرى يعتمد على إدراكات عقلية بديهية هي بنية الحياة الإنسانية في كل تصرفاتها وإن التساهل في ذلك ليس خروجا عن قواعد العلم فحسب، بل هو خروج عن قواعد العقل الواضحة كما سيأتي زيادة توضيح لذلك.

وعليه: فإنّ على كل إنسان غير مخادع لنفسه وطالب للحقيقة بجدٍ أن يكوّن نفسه الرؤية الكونية من خلال البتّ في هذه الحقائق والاعتبار بها لا سيما بالنظر إلى ما سيأتي من أن الحقائق الخطيرة يكفي في ضرورة الاعتناء بها احتمال ثبوتها فقط -وخصوصاً إذا كان ذلك الاحتمال قبل التثبت والفحص-؛ إذ على هذا لا يسع لأحد أن يعرض عن أمر التثبُّت الكافي في شأن هذه الحقائق اللائق بأهميتها إلا إذا زعم وضوح عدم صحتها من أساس من دون حاجة إلى بحث وتثبُّت، وهذه مجازفة واضحة لا أظن أن يرتكبها مَن يحترم عقله ويعي ما يقوله، ومن ثَمَّ يرجى ممن يطلع على هذا البحث أن لا يتعامل معه كترف أو يتسرع فيه إلى موقف حتى يتأمل فيه تأملاً كافياً، ويكوّن لنفسه -بمعونة هذا البحث- انطباعاً ناضجاً في شأن هذه الحقائق.

٤. الاهتمام بالمقارنة مع منطق القرآن في الإقناع.

ورغم أننا في هذا البحث لا ننطلق من بناء مسبق على حقانية الدين فيما جاء به من الحقائق الكبرى إلا إن الدين نفسه ينطلق من منطق لإقناع الناس به، فسوف نلاحظ النصوص الدينية لملاحظة مدى تطابق المنطق الذي تتبناه النصوص لإقناع الناس مع المنطق العقلي الفطري، وذلك من خلال ملاحظة القرآن الكريم الذي هو -من الناحية التاريخية- أوثق رسالة دينية من خالق هذا الكون والحياة إلى الإنسان مطروحة في أوساط الناس، كما أنه -من الناحية المضمونية- أنسب وأروع في تعاليمه بمجموعها من سائر الكتب الأخرى، حتى أذعن بروعته بعض أهل

العلم من الأديان الأخرى.

ومن هذا المنطلق ينبغي إلفات النظر إلى أن القرآن الكريم ينطلق في قاعدته الأساسية لإقناع الناس أيضا من الإذعان بالعقل بنوعيه النظري والعملي موفقاً بذلك مع البديهة المتقدمة من لزوم الانطلاق من ذلك.

أما ارتكازه على العقل النظري: فلأننا نشهد كثيراً في آيات القرآن الكريم التركيز على العقل ومحاولة إثارة التفكُّر والتعقل والتدبُّر بأشكال مختلفة من خلال استنطاق الكون واكتناهه، ودلالات الكائنات على ما وراءها، ومقايسة مضمون الرسالة الإلهية المطروحة بمقاييس العقل النظري كما جاء في ذيل كثير من الآيات بعد ذكر روائع من مشاهد الحياة: ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[1]، ﴿**لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]، ومن المعلوم أن هذا الأسلوب في الإقناع ينطلق من التحفيز والتحريك للعقل وإثارته، ولذلك جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أن الغاية الأصلية لبعث الأنبياء هو إثارة العقل، وتحفيزه للإدراك. ففي الخطبة الأولى من نهج البلاغة: «وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ويُرُوهمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهمْ مَرْفُوعٍ ومِهادٍ تَحْتَهمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهمْ وآجَالٍ تُفْنِيهمْ وأَوْصَابٍ تُهرِمُهمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ»[3].

وأما ارتكازه على العقل العملي: فلأننا نجد أن القرآن يلزم الإنسان على أساس شكره ومن المعلوم أن الشكر مفهوم أخلاقي، كما أنه تضمن جعل المعروف والمنكر أساسين لتشريعات الدين، بل احتج على صدق النبي صلى الله عليه وآله فيما أتى به من الرسالة بأن مضمون رسالته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعلوم أن المعروف هو ما عرفه الناس بعقولهم واطمأنوا إليه، والمنكر ما أنكروه ورغبوا عنه بفطرتهم، فهما مفهومان أخلاقيان جامعان للأفعال النبيلة وأضدادها. قال سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[4].

نعم.. لا شك في استعانة الدين بالمعاجز في إقناع الناس، إلا أن التعويل لم يكن على مجرد المعجزة، بل وقع الاحتجاج بها في القرآن في المرتبة الثانية؛ ولذلك نجد في مواطن عديدة منه عدم استجابة الله تعالى لما كان يقترحه الكفار على النبي صلى الله عليه وآله من المعاجز حتى يؤمنوا برسالته صلى الله عليه وآله وربما يظهر من بعض تلك الآيات رغبة النبي صلى الله عليه وآله

(١) البقرة: ١٦٤، الرعد: ٤، النحل: ١٢ و٦٧، العنكبوت: ٣٥، الروم: ٢٤ و٢٨، الجاثية: ٥.

(٢) يونس: ٢٤، الرعد: ٣، النحل: ١١ و٦٩، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص: ٤٣.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

في الاستزادة منها، في سياق مسعاه لتوجيه الناس وحسرته على إصرارهم على الضلالة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٥] هذا على أن دلالة المعجز أيضاً مما تعتمد على العقل؛ باعتبار كونها عملاً خارقاً لا يتأتى من إنسان، فيدل على ارتباط الإنسان بقوة خارقة.

وبذلك يظهر: أن ما يتداول في بعض الأوساط من أن منطق الدين هو الاعتماد على دلالة المعاجز والخوارق ليس صحيحاً، بل جلّ اعتماد الدين خصوصا الإسلام على تحفيز العقل والتفكّر في مضمون الدين وإثارة روح التأمل والتفكير لدى الإنسان.

وبهذا يتجلّى أن الدين الإلهي المتمثل في دين الإسلام الذي هو محصّل الأديان وأوثقها ينطلق من نفس المنطلق الفكري الذي بيّناه من الإذعان بالعقل النظري في استنباطاته الواضحة، وبالعقل العملي من خلال ما يشهده الإنسان بفطرته الصافية.

وإذا كان في التعاليم الدينية ثمة ما يعتقد بعض الناس أنه يخالف العقل فلا بد من التثبّت عمّا إذا كان للدين مخرج وتفسير لذلك، بعد إصراره على أن العقل والعقلانية هما أساسه ومبنى الإقناع لديه.

(٥) الأنعام: ٣٥.

العقيدة في النصوص القديمة

عصمة النبي صلى الله عليه وآله ... وتنزيهه عن المنفرات

ابن ميثم البحراني

العصمة:

صفة للانسان يمتنع بسببها من فعل المعاصي ولا يمتنع منه بدونها.

وعندنا: أن النبي معصوم عن الكبائر والصغائر عمدا وسهوا من حين الطفولية إلى آخر العمر.

وجوز بعض الخوارج صدور جميع الذنوب عن الأنبياء.

وجوزت المعتزلة والزيدية وقوع الصغائر عنهم فيما يتعلق بالفتوى دون الكبائر. ثم منهم من جوزها سهوا فقط وهو مذهب الأشعرية.

فأما ما يتعلق بأداء الشريعة فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم فيه التحريف والخيانة لا عمدا ولا سهوا، وكذلك أجمعوا على أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه:

(أحدها) أن غرض الحكيم من البعثة هداية الخلق إلى مصالحهم وحثهم بالبشارة والنذارة وإقامة الحجة عليهم بذلك لقوله تعالى ﴿**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[1] فلو لم يجب في حكمته عصمة النبي لناقض غرضه من بعثه وإرساله، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله. فعصمة النبي واجبة في الحكمة.

(١) النساء: ٦٥.

أما الملازمة: فلأن بتقدير وقوع المعصية منه جاز أن يأمرهم بما هو مفسدة لهم وينهاهم عما هو مصلحة لهم، وذلك مستلزم لإغوائهم وإخلالهم، فكان في بعثه غير معصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلان اللازم: فلأن مناقضة الغرض يستلزم السفه والعبث، وهما محالان على الحكيم.

(الثاني) لو جاز صدور المعصية عن النبي لوجب علينا فعل المفسدة أو ترك المصلحة الواجبة، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنه يجب علينا فعل ما أمرنا به والانتهاء عما نهانا عنه لقوله تعالى ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[٢]، فبتقدير أن تجوز المعصية عليه جاز أن يوجب علينا ما هو محرم ويحرم علينا ما هو واجب، ويجب علينا اتباعه في ذلك.

وأما بطلان اللازم: فلأن أمر الحكيم لنا باتباعه مطلقا يستلزم أمره لنا بفعل القبيح إذن، لكن الأمر بالقبيح قبيح ممتنع عليه تعالى.

(الثالث) لو جاز صدور المعصية عنهم لكان بتقدير وقوعها منهم لا تقبل شهاداتهم، لقوله تعالى ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾[٣] لكن اللازم باطل لأنها إذا لم تقبل في محقرات الأمور فكان أولى أن لا تقبل في الأديان الباقية إلى يوم القيامة.

واعلم أن الوجه الأول كما يدل على عصمة النبي فهو أيضا يدل على عصمة الرسل من الملائكة.

تنزيه النبي عن المنفرات:

ينبغي أن يكون منزهاً عن كل أمر تنفر عن قبوله، إما في خلقه كالرذائل النفسانية من الحقد والبخل والحسد والحرص ونحوها، أو في خلقه كالجذام والبرص، أو في نسبه كالزنا ودناءة الآباء؛ لأن جميع هذه الأمور صارف عن قبول قوله والنظر في معجزته، فكانت طهارته عنها من الألطاف التي فيها تقريب الخلق إلى طاعته واستمالة قلوبهم إليه.

[قواعد المرام في علم الكلام]

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الحجرات: ٦.

لا انسانية بلا حرية

الشيخ محمد جواد مغنية

[الشبهة]:

لو كان الله موجودا لانتصر لمن آمن به من المستضعفين، وأهلك الجبابرة والجاحدين وزلزل الارض بالاستعمار والصهيونية واسرائيل.

الجواب:

الله سبحانه كرم الانسان بنعمة العقل والارادة والقدرة، وبيّن له الخير والشر، ونهاه عن هذا، وأمره بذاك، وفي الوقت نفسه حثه على التفكير وإعمال العقل، واعتبر إهماله جريمة تستحق العقاب. وبالعقل يميز الانسان بين الهدى والضلال وبالإرادة يختار لنفسه ما يحب، وبالقدرة يفعل وينفذ.

وبهذه العناصر الثلاثة قوام الانسان وماهيته، إذ لا انسانية بلا عقل وقدرة وحرية.. ولو أن الله سبحانه تدخل بالقهر والغلبة في أي شأن من شؤون الانسان، او ألجأه الى الايمان إلجاءً، او أهلك اعداءه بالخوارق والمعجزات كقطع يد التلميذ الأرعن او ردها الى الخلف، لو فعل الله شيئا من ذلك لسلب الانسان حقه في أن يوافق او يرفض، وان يؤمن او يكفر، وأن يفعل او يترك، ومعنى هذا أنه لا وزن لعقل الانسان، ولا لإرادته من موضوع، ولا لقدرته من أثر.. ومن أجل هذا ترك سبحانه النواميس الكونية والاجتماعية تعمل عملها في المؤمن والكافر: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهَ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[1].

ومن طريف ما قرأت في هذا الباب: أن الريح اذا كانت تهب جنوبا، وأبحر المؤمن بالله باتجاه الشمال فإن الله سبحانه لا يأمر الريح بالهبوب شمالا إكراما لمن آمن به واخلص له.. واذا أبحر المؤمن باتجاه الريح المواتية لقصده، وشكر الله على ذلك فان شكره هذا وقاحة وانانية؛ لأنه يعني أن الله لا يحب الذين أبحروا بالاتجاه المعاكس لاتجاهه.

والخلاصة أن الله سبحانه أبى ان يقبل الايمان به الا اذا تجسد في العمل الحي المثمر.. وايضا أبى -عظمت حكمته-، أن يجري الامور الا تبعا للسنن والنواميس التي لا تبالي بمصير كبير او حقير، ولا تدخل في حسابها مؤمنا او كافرا.

[شبهات الملحدين والاجابة عنها]

(١) محمد: ٤.

علم الفقه، علم الأصول، علم الرجال، علم الحديث

أدوار الفكر الاصولي

السيد منير الخباز

التقية

الشيخ الأعظم الأنصاري

عبادة الجاهل

الوحيد البهبهاني

مدرسة الكوفة الفقهية

الشيخ محمد مهدي الآصفي

بحث في الأحكام الشرعية

الميرزا جواد التبريزي

السيد منير الخباز

إن معيار الدور -بحسب تصورنا- لا يرتبط بالمرحلة الزمنية للعلم، إذ ربما تمر المرحلة الزمنية من دون حصول أي تطور وتجديد في مسيرة العلم وتكامله، وإنما معيار الدور المتميز عن غيره من الأدوار هو ببروز النظريات المتطورة التي تدفع بمسيرة الفكر للأمام، وهذا إنما يحدث عادة نتيجة التنافس العلمي والمبارزات الثقافية، فكما أن المجتمعات تترقى في سلم الحضارة نتيجة التنافس الاقتصادي والثقافي فيما بينها، فكذلك تطور أي فكر كان يحتاج لنوع من الصراع الحاد بين أقطاب هذا الفكر ليساهم ذلك الصراع في بلورة النظريات

وتجددها، وعلى هذا الاساس -أي أساس صراع الافكار- سنحدد أدوار الفكر الأصولي عند الشيعة الامامية.

الدور الأول:

وهو عبارة عن موقف علماء الشيعة من المدارس الفكرية الأخرى ومن العلماء الشيعة المتأثرين بهذه المدارس. بيان ذلك: أن هناك مدرستين متصارعتين في مجال تحديد الحكم الشرعي، وهما: مدرسة الرأي ومدرسة الحديث، فمدرسة الرأي بدأت شرارتها من بعض الصحابة والخلفاء الذين منعوا من تدوين السنة لأهداف سياسية معينة وأخذوا بآرائهم وتصوراتهم الشخصية فيما يناسب المصلحة العامة، وامتدت هذه المدرسة للقرن الثاني، حيث كانت هي الطابع العام للعراقيين أتباع أبي حنيفة الذين قالوا بحجية القياس والاستحسان والتزموا بالنقد الداخلي للاحاديث بمقارنتها مع الاصول العامة في الاسلام، وأما مدرسة الحديث التي نشأت كرد فعل لامتداد مدرسة الرأي وتجسدت في المذهب الحنبلي والمالكي أكثر من بقية المذاهب فقد أفرطت في الاعتماد على الحديث بمجرد كونه خبر ثقة من دون ملاحظة القواعد العامة، وقد تأثر بكل واحدة من المدرستين بعض علماء الشيعة كما حكي عن ابن الجنيد في قوله بالقياس -إن صح ذلك- وحكي عن بعض آخر ما يناسب أقوال الحشوية. لذلك ومن هذا المنطلق خاض علماء الشيعة الفكر الاصولي وبدأ الدور الاول من مسيرته في مواجهة مدرسة الرأي ومدرسة الحديث ومن تأثر بهما من علماء الامامية، فكتبت رسائل في عدم حجية القياس وفي الحديثين المختلفين من بعض بني نوبخت وغيرهم كما يلاحظ في كتب الرجال، وذكر الشيخ الطوسي في الفهرست والسيد المرتضى في الانتصار معارضات حادة لمنهج ابن الجنيد[1]، كما كتب[2] الشيخ المفيد رسالة في بطلان القياس وكتاب مقابيس الانوار في الرد على أهل الاخبار، وهذه الرسائل أعطت الفكر الاصولي نضجا وتطورا ملحوظا كما في عدة الشيخ الطوسي، ثم استمر الفكر الاصولي بعد رحيل الطوسي بين تطور وتوقف، ففي عصر الديالمة تقدم بعض الخطوات لوجود التنافس الفكري، ولكنه توقف عن حركة التطور في عصر السلاجقة لوجود الضغط والتضييق، ورجع للتفوق بعد

(١) الفهرست: ١٣٤/ ٦٠١، الانتصار: ٨.

(٢) الفهرست ١٥٧/ ٧٠٦، رجال النجاشي: ٣٩٩/ ١٠٦٧.

غزو التتار لانفتاح آفاق الحرية الفكرية آنذاك فقد أبرز المحقق والعلامة في التذكرة والمعتبر مدى عمق الفكر الاصولي في الفقه المقارن، وهذه الفترة الزمنية -وإن كانت قصيرة- إلا أنها وضعت بصماتها حتى على فكر بعض علماء المذاهب الاخرى، فقد ذكر أبو زهرة في كتابه (ابن تيمية) أن ابن تيمية تأثر بالفقه الشيعي المعاصر له، كما يظهر من بعض مسائل الطلاق في فقهه، وبعد انتهاء هذه الفترة رجع الفكر الاصولي والفقه الخلافي للركود فلا يلاحظ في كتب الشهيد الاول إشارة للفقه المقارن ومواطن إبداع الامامية في الفكر الاصولي، بل ذكر الشهيد الثاني في كتاب القضاء أنه يكفي للطالب دراسة مختصر ابن الحاجب في المنطق والاصول[٣]، مع أن هذا الكتاب لا يمثل الابداع الامامي.

الدور الثاني:

وهو عبارة عن الصراع الفكري بين المدرسة الاصولية والاخبارية.

بيان ذلك: أن الشيعة -بعد استقرارهم السياسي في عهد الصفوية في أوائل القرن العاشر- برزت فيهم المدرسة الاخبارية المتمثلة في الملا أحمد أمين الاسترابادي ومن تأثر به كالمجلسيين والفيض الكاشاني والحر العاملي والشيخ يوسف البحراني، وكان من عوامل بروز هذه المدرسة تصور بعض علماء الشيعة أن القواعد الاصولية المساهمة في استنباط الحكم الشرعي تعتمد على الفكر الكلامي والفلسفي مما أدى لابتعاد الحكم الشرعي عن مصادره الصافية وهي روايات أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا بدأ الصراع الفكري الحاد بين المدرستين واستفاد الفكر الاصولي تطورا كبيرا من هذا الصراع وتقدم تقدما عجيبا على يد الوحيد البهبهاني والمحقق القمي وصاحب الفصول والعلامة الانصاري.

الدور الثالث:

وهو عبارة عن المرحلة الفعلية التي نعيشها.

بيان ذلك: أن الفترة التي نعيشها الآن بمقتضى العوامل الاقتصادية والسياسية تمثل الصراع الحاد بين الثقافة الاسلامية والثقافات الأخرى على مختلف الأصعدة، فلا بد من تطوير علم الأصول وصياغته بالمستوى المناسب للوضع الحضاري المعاش.

[الرافد في علم الأصول]

(٣) شرح اللمعة ٣: ٦٥.

عبادة الجاهل

الوحيد البهبهاني

اعلم يا أخي! أنّ من يقول بصحّة عبادة الجاهل إن كان يقول إنّه مكلّف بما حصل به ظنّه بأيّ وجه حصل وهذا هو تكليفه لا غير، يلزمه الحكم بصحّة عبادته وإن كانت مخالفة لما أمر الله تعالى به. بل يلزمه الحكم بفسادها إن كانت مطابقة لما أمر الله تعالى به وكانت مخالفة لظنّه.

مثلا: من ظنّ أنّ صلاة الصبح أربع ركعات يكون تكليفه منحصرا في الأربع، فلو اقتصر على الاثنتين تكون فاسدة، لعدم المطابقة مع تكليفه. ولو صلّى أربعا من غير فصل بتسليم يكون ممتثلا، ولو فصل بالتسليم تكون باطلة.

وهذا باطل، بالضرورة من الدين، وهو أيضا لا يقول به، بل متحاش عنه. بل هذا قول المصوّبة الّذين هم من العامّة بالنسبة إلى المجتهد وظنّه الّذي ثبت اعتباره شرعا.

وأمّا المخطّئة وهم الشيعة قاطبة وأكثر العامّة فهم لا يقولون بأنّ حكم الله تعالى تابع لظنّ المجتهد الّذي ظنّه حجّة شرعا، فضلا عن الجاهل.

وأمّا المصوّبة، فقلنا: إنّه لا يقول ذلك إلّا بالنسبة إلى ظنّ المجتهد المعتبر شرعا.

وإن كان يقول بأنّه مكلّف بما أمر الله تعالى به في الواقع، فلازم ذلك أن يأتي بما أمر الله تعالى به في الواقع، وهذا لا يمكن للمجتهد أن يأتي به، فضلا عن العامّي، إذ غاية ما يحصل للمجتهد الظنّ بأنّه ما أمر

الله تعالى به واقعا، إذ الكلام إنّما هو في المسائل الاجتهاديّة، لا المسائل الضروريّة، أي العبادات الّتي لا يمكن الحكم بصحّتها، وأنّها موافقة لما أمر الله تعالى به إلّا بالظنون الاجتهادية؛ لأنّها هي الّتي يقول بها الفقهاء: وأنّه لا بدّ من الاجتهاد أو التقليد فيها. وأمّا إذا لم يكن الاستناد فيه إلى اجتهاد وتقليد فلا كلام فيه، مثل الضروريّات.

فنقول: إذا كان المكلّف به هو الأمر الواقعي، ومعنى التكليف به أنّه مأمور بإتيانه أي إتيان ذلك الواقعي فلازم ذلك تحصيل العلم أو الظنّ المعتبر شرعا، أي ثبت من الدليل الشرعي أنّ الله جوّزه، ورضي به أن يكون عوضا عمّا أمر به في الواقع.

وإلّا فبين الأمر الشرعي الواقعي والظنّ الحاصل للمكلّفين فرق ظاهر، وتفاوت بيّن، فكيف يمكن أن يكون أحدهما موضعا للآخر وعوضا بغير رخصة من الشرع وتجويزه؟!

سيّما مع أنّ الشارع صدر عنه ما يدلّ على عدم اعتبار الظنّ، بل والمنع عن اعتباره ما يزيد على القدر المعتبر في التواتر.

مع أنّ القرآن الّذي هو من المتواترات مذكور ذلك فيه كرّات [و] مرّات.

ولذا ترى علماء العامّة فضلا عن الخاصّة في كلّ موضع اعتبروا ظنّا، ما اعتبروه إلّا بدليل قطعي، أو ينتهي إلى القطع.

ولذا منعوا عن اجتهاد من لم يحصل له رتبة الاجتهاد، وحكموا بحرمته، وإن كان ظنّه مطابقا لظنّ المجتهد؛ لأنّ الاعتبار عندهم بكبرى قطعيّة حاصلة للمجتهد، لا الصغرى الحاصلة من ظنونهم، وكذا الحال في المقلّد.

فإن قلت: معرفة العبادة أمر خارج عن ماهيّتها، وهو مأمور بالعبادة.

قلت: لا شكّ في أنّه مأمور بالعلم والمعرفة، والأخبار في ذلك متواترة، ومضمونها متّفق عليه بين الأمّة، وأنّها من الواجبات العينيّة.

فإن قلت: لا شكّ في ذلك، لكن نقول: لعلّ مجرّد المظنّة يكون كافيا في تحقّق العلم وصدق المعرفة.

قلت: مجرّد المظنّة أمر سوى العلم والمعرفة، وبين المعنيين فرق بالبديهة، مع أنّ الوارد في الأخبار أنّه لا بدّ من الأخذ ممّن هو أهله، سوى ما ورد من المنع عن العمل بالظنّ والأمر بالعمل بالعلم، وغير ذلك ممّا مرّ وسيجيء.

فإن قلت: لا شكّ في ذلك، لكن نقول: لعلّها تكون واجبة على حدة، لا شرطا في صحّة العبادة، ويكون المكلف آثما في ترك تحصيلها، لا أن تكون عبادته أيضا فاسدة.

قلت: ببالي أنّه وردت الأخبار المتضمّنة

لنفي الصحّة بدون الفقه والمعرفة، وما يؤدّي هذا المعنى بعنوان الظهور أو النصوصيّة، لكن الآن ليس عندي من الكتب حتّى أبيّن الأمر.

سلّمنا عدم الورود، لكن لا شكّ في أنّه يجب علينا الإطاعة، والآيات والأخبار المتواترة في هذا المعنى واضحة الدلالة، والإطاعة عبارة عن امتثال الأمر عرفاً ولغة، ومعنى امتثال الأمر هو الإتيان بنفس ما أمر به فإن كان المأمور به هو مظنّة المكلّف، فلا شكّ في تحقّقه بالمظنّة، لكن قد عرفت أنّه فاسد بالبديهة.

وإن كان المأمور به هو أمرا واقعيا، فامتثال الأمر لا يتحقّق إلّا بإتيان ذلك الأمر الواقعي، لا مظنون المكلّف، كما أنّه لا يتحقّق بالمحتمل البتّة.

نعم لو ثبت من الآمر أنّه اكتفى بظنّ عوضا عمّا أمر به في الواقع فهو المتّبع، عامّا كان ذلك الظنّ أو خاصّا، على حسب ما ثبت من الآمر.

لكن قد عرفت عدم الثبوت، بل وثبوت العدم. مضافا إلى أنّ شغل الذمّة شرعا يقيني، والشارع قال: لا تنقض اليقين إلّا بيقين مثله. وأيضا هو مستصحب حتّى يثبت خلافه شرعا.

وأيضا العمومات والإطلاقات الدالّة على أنّه مكلف تشمل صورة ما نحن فيه، لعدم ثبوت التخصيص والتقييد شرعا. وأيضا الإجماع واقع على أنّ شغل الذمّة شرعا يستدعي البراءة بعنوان شرعي.

وأيضا ما ذكرت لا يلائم قواعد العدليّة، فإنّ رجلين لو كانا متساويين في الفعل والعمل من دون تفاوت أصلا، وكانت عبادتهما من أوّل العمر إلى الآخر بالظنون الّتي ذكرت، إلّا أنّه اتّفق خطأ ظنون أحدهما، وصارت عباداته مخالفة للواقع بخلاف الآخر، فكيف يعاقب بالنسبة إلى كلّ واحد واحد من واجباته ومحرّماته عقابا، كلّ واحد من العقابات على حدة، ولا يمكن وصف شدّة كلّ واحد من العقابات؟! والآخر يعطى الجنّة ومثوباتها العظيمة الّتي لا يمكن وصف واحد منها، كلّ ذلك بمحض الاتّفاق، بأن اتّفق أنّ عبادة هذا صارت خطأ، واتّفق أنّ عبادة هذا وافقت الواقع، مع عدم تفاوت أصلا في فعلهما وعنايتهما، وبذل جهدهما بل وربّما كانت العناية وبذل الجهد من الخاطئ أكثر، وظنّه أقوى وأشدّ.

فإن قلت: بناء الفقه على الظنون، والمرء متعبّد بظنّه.

قلت: إن أردت من الظنون ما هو معتبر شرعا فمسلّم، لكن الكلام في اعتباره،

ولم يثبت، بل وثبت خلافه كما عرفت، بل الأوامر الواردة في وجوب تحصيل العلم والمعرفة، والتأكيدات، والتشديدات، والوعيدات، والتهديدات لم ترد إلّا لأجل أن لا يعتمد على أمثال هذه الظنون.

وإن أردت كلّ ظنّ وأنّ الكلّ معتبر شرعا فممنوع، بل وفاسد كما عرفت.

مع أنّه يلزم على هذا صحّة عبادته وإن كانت مخالفة لما أمر به، بل وفسادها إن كانت على خلاف ظنّه وإن كانت مطابقة للواقع، بل وحرمتها وعدم جواز فعلها، بل ووجوب فعلها مخالفة لما أمر به كما أشرنا. وفساد هذا بديهي، وأنتم أيضا متحاشون عنه.

وأيضا، يلزم على هذا عدم العقاب على ترك العلم والمعرفة، بل وكون الظنون الفاسدة علما ومعرفة متّصفة بصفة الوجوب الشرعي، ويترتّب عليها الثواب والعقاب.

وما ذكر أيضا فاسد قطعا، مخالف للأدلّة القطعيّة، واتّفاق جميع المسلمين، وأنتم أيضا متحاشون عنه.

فإن قلت: تقليد المجتهد أيضا مظنّة.

قلت: نعم، لكن ليس كغيره، للإجماع على اعتباره، وقضاء الضرورة به، وعمل المسلمين في الأعصار والأمصار عليه، وآية ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ**﴾ دالّة على اعتباره، وكذا حديث: فإذا كان العالم كذا وكذا فللعوام أن يقلّدوه. وغير ذلك.

مع أنّه مركوز في خواطر كلّ واحد أنّ كلّ أمر مجهول يرجع فيه إلى أهل خبرته والماهر في فنّه، فإذا أراد أن يعرف أنّ درهما هل هو زيف أم لا يرجع فيه إلى الماهر في المعرفة، ويبذل جهده في تحصيل الماهر وفي معرفته. وكذا إذا أراد معرفة عيب شيء وإن كان أقلّ من درهم. وكذا يرجع إلى الطبيب.

[رسائل فقهية]

بحث في الأحكام الشرعية

الميرزا جواد التبريزي

هل يمكن القول بأنّه هناك مجال للبحث في أحكام الشريعة الإسلامية، باعتبار أنّ هناك ثابتاً ومتغيراً، وفقاً لظروف كلّ عصر وزمن، على حسب اختلاف المجتمعات، أو أنّ الحكم الشرعي واحد لا يتغيّر؟

باسمه تعالى إن تعدّد حكم الواقعة الواحدة بحسب اختلاف المجتهدين في الأعصار فيها أمر غير ممكن وغير واقع؛ لأنّه مخالف لمذهب العدليّة الملتزمين ببطلان التصويب في الوقائع التي وردت فيها الخطابات، أو استفيد حكمها من مدارك أخرى، فإنّ مقتضى الإطلاقات ثبوت الحكم، واستمراره بحسب الأزمنة في ظرف فعليّة الموضوع، في أيّ ظرف كان، ولو كان استقبالًا.

وتدل على ذلك الروايات أيضاً، كصحيحة زرارة المروية في الكافي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: «حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره، وقال: قال علي عليه السلام: «ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سنّة».

وأمّا فتاوى المجتهدين في موارد الخلاف، فلا تصيب من فتاواهم في واقعة واحدة إلَّا فتوى واحدة من ذلك، نعم فتوى كلّ واحد من المجتهدين مع اجتماع شرائط التقليد فيه عذر بالنسبة للعامي في موارد الخطأ، ثمّ انّ الحكم المجعول في الشريعة له مقامان: الأول مقام الجعل، والثاني مقام الفعليّة، وعلى ذلك فيمكن أن ينطبق عنوان الموضوع على شيء في زمان فيكون فعليّاً، ولا ينطبق على ذلك الشيء في زمان آخر فلا يكون ذلك الحكم فعليّاً، وهذا من ارتفاع فعليّة الحكم لا من تغيّر المجعول في الشريعة، كما إذا كان شيء آلة قمار في زمان، وسقط عن آلية القمار في زمان آخر بعد ذلك الزمان، فاللعب به بلا رهان باعتبار عدم انطباق عنوان آلة القمار عليه في زمان اللعب لا يكون محرّماً، وهذا ليس من تغيّر حكم حرمة آلة القمار، كما هو واضح، وكوجوب الجهاد الابتدائي، فإنّه بناءً على اشتراط الجهاد الابتدائي بحضور الإمام عليه السلام فلا يكون وجوب الجهاد فعليّاً في زمان الغيبة؛ لعدم حضوره عليه السلام لا لأنّه مع عدم حضوره تغيّر حكم الجهاد في الشريعة، وأمثال ذلك كثيرة.

نعم، في الشريعة يمكن أن تكون لشخص أو أشخاص أحكام مختصّة بهم، وهذه الأحكام تنتهي برحيلهم، كالأحكام المختصّة بالنبي صلى الله عليه وآله، وهذه قضايا خارجية لا صلة لها بالأحكام العامة الشرعية التي يُعبّر عنها بالقضايا الحقيقية، والله العالم.

[الانوار الالهية]

التقية

الشيخ الاعظم الانصاري

إن التقية تنقسم إلى الاحكام الخمسة: **فالواجب منها**: ما كان لدفع الضرر الواجب فعلا، وأمثلته كثيرة.

والمستحب: ما كان فيه التحرز عن معارض الضرر: بأن يكون تركه مفضيا تدريجياً إلى حصول الضرر، كترك المداراة مع العامة وهجرهم في المعاشرة في بلادهم، فإنه ينجر غالبا إلى حصول المباينة الموجب لتضرره منهم.

والمباح: ما كان التحرز عن الضرر وفعله مساويا في نظر الشارع، كالتقية في إظهار كلمة الكفر على ما ذكره جمع من الاصحاب، ويدل عليه الخبر الوارد في رجلين أُخِذَا بالكوفة وأُمِرَا بسب أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

والمكروه: ما كان تركه وتحمل الضرر أولى من فعله، كما ذكر ذلك بعضهم في إظهار كلمة الكفر، وأن الاولى تركه ممن يقتدي به الناس، إعلاء لكلمة الاسلام، والمراد

بالمكروه حينئذ ما يكون ضده أفضل.

والمحرم منه: ما كان في الدماء.

وذكر الشهيد قدس سره في قواعده: أن المستحب: إذا كان لا يخاف ضررا عاجلا ويتوهم ضررا آجلا أو ضررا سهلا، أو كان تقية في المستحب، كالترتيب في تسبيح الزهراء صلوات الله عليها وترك بعض فصول الاذان.

والمكروه: التقية في المستحب حيث لا ضرر عاجلا ولا آجلا، ويخاف منه الالتباس على عوام المذهب.

والحرام: التقية حيث يؤمن الضرر عاجلا وآجلا، أو في قتل مسلم.

والمباح: التقية في بعض المباحات التي ترجحها العامة ولا يصل بتركها ضرر، انتهى.

وفي بعض ما ذكره قدس سره تأمل.

ثم الواجب منها يبيح كل محظور من فعل الواجب وترك المحرم.

والاصل في ذلك: أدلة نفي الضرر، وحديث رفع عن أمتي تسعة أشياء، ومنها: «ما اضطروا إليه»، مضافا إلى عمومات التقية، مثل قوله في الخبر: (إن التقية واسعة، ليس شيء من التقية إلا وصاحبها مأجور)، وغير ذلك من الاخبار المتفرقة في خصوص الموارد.

وجميع هذه الادلة حاكمة على أدلة الواجبات والمحرمات، فلا يعارض بها شيء منها حتى يلتمس الترجيح ويرجع إلى الاصول بعد فقده، كما زعمه بعض في بعض موارد هذه المسألة.

وأما المستحب من التقية فالظاهر وجوب الاقتصار فيه على مورد النص، وقد ورد النص: بالحث على المعاشرة مع العامة، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، والصلاة في مساجدهم، والاذان لهم، فلا يجوز التعدي عن ذلك إلى ما لم يرد فيه النص من الافعال المخالفة للحق، كذم بعض رؤساء الشيعة للتحبب إليهم.

وكذلك المحرم والمباح والمكروه، فإن هذه الاحكام على خلاف عمومات التقية، فيحتاج إلى الدليل الخاص.

مدرسة الكوفة الفقهية

الشيخ محمد مهدي الآصفي

في أخريات حياة الإمام الصادق عليه السلام انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة، وبذلك بدأ الفقه مرحلة جديدة من حياته في الكوفة.

وكانت الكوفة حين ذاك مركزا علميا وتجاريا وسياسيا معروفا في العالم الاسلامي، يقصده طلاب العلم والمال والسياسة من أطراف العالم. يقول البلاذري: «إن أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة». وقد أثر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلبا للعلم أو التجارة في التلاقح العقلي والذهني في هذه المدرسة، كما كان لها الأثر البالغ في تطوير الدراسات العقلية فيها.

وقد هاجر إليها فوق ذلك وفود من الصحابة والتابعين والفقهاء وأعيان المسلمين من مختلف الأمصار، وبذلك كانت الكوفة حين انتقل إليها الإمام الصادق عليه السلام وانتقلت إليها مدرسة الفقه الشيعي من أكبر العواصم الاسلامية.

وقد عد البراقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابيا من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها، ما عدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الأسر العلمية التي كانت تسكن هذا القطر.

وقد أورد ابن سعد في الطبقات ترجمة لـ(٨٥٠) تابعيا ممن سكن الكوفة[1]. في مثل هذا الوقت انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح، واستمر بقاء الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة مدة سنتين.

وقد اشتغل الإمام الصادق عليه السلام في هذه الفترة بالخصوص في نشر مذهب أهل البيت في الأصول

(١) طبقات ابن سعد: ج ٦.

والفقه لعدم وجود معارضة سياسية قوية في البين، فقد سقطت في هذه الفترة الحكومة الأموية وظهرت الحكومة العباسية، وبين هذا السقوط وهذا الظهور اغتنم الإمام الصادق عليه السلام الفرصة للدعوة إلى المذهب، ونشر أصول هذه المدرسة، فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافات ووحدانا تستقي منه العلم وترتوي من منهله العذب وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم، وكان منزله عليه السلام في بني عبدالقيس من الكوفة[٢].

قال محمد بن معروف الهلالي: «مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد عليه السلام فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس، فلما كان اليوم الرابع رآني فأدناني وتفرق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فتبعته وكنت أسمع كلامه وأنا معه أمشي».

وقال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لأبي عيسى القمي: «إني أدركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد»[٣].

وكان من بين أصحاب الامام الصادق عليه السلام من فقهاء الكوفة أبان بن تغلب بن رباح الكوفي نزيل كندة، روى عنه عليه السلام (٣٠٠٠٠) حديث. ومنهم محمد بن مسلم الكوفي، روى عن الباقرين عليهما السلام (٤٠٠٠٠) حديث.

وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) كتابا في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق عليه السلام، فذكر ترجمة (٤٠٠٠) رجل[٤]. كل ذلك بالاضافة إلى البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بانتسابها إلى الامام الصادق عليه السلام، واشتهرت بالفقه والحديث كبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وبيت بني عطية، وبيت بني دراج، وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بالتشيع، واشتهرت بالفقه والحديث[٥]. وقد أدى كل هذا الالتقاء بشخصية الامام الصادق عليه السلام في الكوفة، والاحتفاء به إلى أن يأخذ الجهاز العباسي الحاكم حذره منهم. وقد خاف المنصور الدوانيقي أن يفتق به الناس -على حد تعبيره- لما رأى من إقبال الفقهاء والناس عامة عليه، واحتفائهم به، وإكرامهم له فطلبه إلى بغداد في قصة طويلة لا يهمنا نقلها. ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت مدرسة الكوفة على يد الامام الصادق عليه السلام وتلاميذه، وبتأثير من الحركة العلمية القوية التي أوجدها الامام الصادق عليه السلام في هذا الوسط الفكري.

ولم تبق الكوفة إلى حين الغيبة الكبرى مقاما للائمة عليهم السلام، ولم يتمركز فقهاء الشيعة كلهم بعد ذلك في الكوفة، ولم تستمر هذه المدة المدرسة التي انشأها الامام الصادق في الكوفة، إلا أن الكوفة كانت هي منطلق الحركة العقلية في العصر الثاني من عصور تاريخ الفقه الشيعي.

[تاريخ فقه أهل البيت]

(٢) تاريخ الكوفة للبراقي: ص ٤٠٨.

(٣) رجال النجاشي ترجمة «الوشاء»: ص ٤٠ تحت رقم ٨٠.

(٤) تاريخ الكوفة: ص ٤٠٨.

(٥) تاريخ الكوفة: ص ٣٩٦ - ٤٠٧.

أهمية الغدير في التاريخ

العلامة الأميني

ملامح من ثورة الحسين عليه السلام

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

إضطراب التاريخ

الشيخ محمد رضا المظفر

الرئيس الصديق...

عباس محمود العقاد

أهمية الغدير في التاريخ

العلامة الاميني

لا يستريب أي ذي مسكة في أن شرف الشيء بشرف غايته، فعليه إن أول ما تكسبه الغايات أهمية كبرى من مواضيع التاريخ هو ما أسِّسَ عليه دين، أو جرت به نحلة، واعتلت عليه دعائم مذهب، فدانت به أمم، وقامت به دول، وجرى به ذكر مع الأبد، ولذلك تجد أئمة التاريخ يتهالكون في ضبط مبادئ الأديان وتعاليمها، وتقييد ما يتبعها من دعايات وحروب وحكومات وولايات التي عليها نسلت الحقب والأعوام، ومضت القرون الخالية ﴿سُنَّةَ اللهَ فِي الَّذِينَ خَلَوْا.. وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهَ تَبْدِيلًا﴾[1]، وإذا أهمل المؤرخ شيئاً من ذلك فقد أوجد في صحيفته فراغا لا تسده أية مهمة، وجاء فيها بأمر خداج، بتر أوله، ولا يُعْلَم مبدؤه، وعسى أن يوجب ذلك جهلا للقارئ في مصير الأمر ومنتهاه.

(١) الأحزاب: ٦٢.

إن واقعة (غدير خم) هي من أهم تلك القضايا، لما ابتني عليها وعلى كثير من الحجج الدامغة، مذهب المقتصين أثر آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم، وهم معدودون بالملايين، وفيهم العلم والسؤدد، والحكماء، والعلماء، والأماثل، ونوابغ في علوم الأوائل والأواخر، والملوك، والساسة، والأمراء، والقادة، والأدب الجم، والفضل الكثار، وكتب قيمة في كل فن، فإن يكن المؤرخ منهم فمن واجبه أن يفيض على أمته نبأ بدء دعوته، وإن يكن من غيرهم فلا يعدوه أن يذكرها بسيطة عندما يسرد تاريخ أمة كبيرة كهذه، أو يشفعها بما يرتئيه حول القضية من غميزة في الدلالة، إن كان مزيج نفسه النزول على حكم العاطفة، وما هنالك من نعرات طائفته، على حين أنه لا يتسنى له غمز في سندها، فإن ما ناء به نبي الاسلام يوم الغدير من الدعوة إلى مفاد حديثه لم يختلف فيه اثنان، وإن اختلفوا في مؤداه لأغراض وشوائب غير خافية على النابه البصير فذكرها من أئمة المؤرخين البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ في أنساب الأشراف، وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ في المعارف، والإمامة والسياسة، والطبري المتوفى ٣١٠هـ في كتاب مفرد، وابن زولاق الليثي المصري المتوفى ٢٨٧هـ في تأليفه، والخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ في تاريخه، وابن عبدالبر المتوفى ٤٦٣هـ في الاستيعاب، والشهرستاني المتوفى ٥٤٨هـ في الملل والنحل، وابن عساكر المتوفى ٥٧١هـ في تاريخه، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ج١٨ ص٨٤ من الطبعة الأخيرة، وابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ في أسد الغابة، وابن أبي الحديد المتوفى ٦٥٦هـ في شرح نهج البلاغة، وابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ في تاريخه واليافعي المتوفى ٧٦٨هـ في مرآة الجنان، وابن الشيخ البلوي في ألف باء، وابن كثير الشامي المتوفى ٧٧٤هـ في البداية والنهاية، وابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ في مقدمة تاريخه، وشمس الدين الذهبي ٧٤٨هـ في تذكرة الحفاظ، والنويري المتوفى حدود ٨٣٣هـ في نهاية الإرب في فنون الأدب، وابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ في الإصابة وتهذيب التهذيب، وابن الصباغ المالكي المتوفى ٨٥٥هـ في الفصول المهمة، والمقريزي المتوفى ٨٤٥هـ في الخطط، وجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١٠هـ في غير واحد من كتبه، والقرماني الدمشقي المتوفى ١٠١٩هـ في أخبار الدول، ونور الدين الحلبي المتوفى ١٠٤٤هـ في السيرة الحلبية، وغيرهم.

وهذا الشأن في علم التاريخ لا يقل عنه الشأن في فن الحديث، فإن المحدث إلى أي شطر ولى وجهه من فضاء فنه الواسع،

يجد عنده صحاحا ومسانيد تثبت هذه المأثرة لولي أمر الدين عليه السلام، ولم يزل الخلف يتلقاه من سلفه حتى ينتهي الدور إلى جيل الصحابة الوعاة للخبر، ويجد لها -مع تعاقب الطبقات- بلجاً ونوراً يذهب بالأبصار، فإن أغفل المحدث عما هذا شأنه، فقد بخس للأمة حقاً، وحرمها عن الكثير الطيب مما أسدى إليها نبيها نبي الرحمة من بره الواسع، وهدايته لها إلى الطريقة المثلى.

فذكرها من أئمة الحديث: إمام الشافعية أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ كما في نهاية ابن الأثير، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ في مسنده ومناقبه، وابن ماجة المتوفى ٢٧٣هـ في سننه، والترمذي المتوفى ٢٧٦هـ في صحيحه، والنسائي المتوفى ٣٠٣هـ في الخصائص، وأبو يعلى الموصلي المتوفى ٣٠٧هـ في مسنده، والبغوي المتوفى ٣١٧هـ في السنن، والدولابي المتوفى ٣٢٠هـ في الكنى والأسماء، والطحاوي المتوفى ٣٢١هـ في مشكل الآثار، والحاكم المتوفى ٤٠٥هـ في المستدرك، وابن المغازلي الشافعي المتوفى ٤٨٣هـ في المناقب، وابن مندة الأصبهاني المتوفى ٥١٢هـ بعدة طرق في تاليفه، والخطيب الخوارزمي المتوفى ٥٦٨هـ في المناقب ومقتل الإمام السبط عليه السلام، والكنجي المتوفى ٦٥٨هـ في كفاية الطالب، ومحب الدين الطبري المتوفى ٦٩٤هـ في الرياض النضرة، وذخائر العقبى، والحموينى المتوفى ٧٢٢هـ في فرائد السمطين، والهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ في مجمع الزوائد، والذهبي المتوفى ٧٤٨هـ في التلخيص، والجزري المتوفى ٨٣٠هـ في أسنى المطالب، وأبو العباس القسطلاني المتوفى ٩٢٣هـ في المواهب اللدنية، والمتقي الهندي المتوفى ٩٧٥هـ في كنز العمال، والهروي القارئ المتوفى ١٠١٤هـ في المرقاة في شرح المشكاة، وتاج الدين المناوي المتوفى ١٠٣١هـ في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق. وفيض القدير، والشيخاني القادري في الصراط السوي في مناقب آل النبي، وباكثير المكي المتوفى ١٠٤٧هـ في وسيلة الآمال في مناقب الآل، وأبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفى ١١٢٢هـ في شرح المواهب، وابن حمزة الدمشقي الحنفي في كتاب البيان والتعريف، وغيرهم.

كما أن المفسر نصب عينيه آي من القرآن الكريم نازلة في هذه المسألة يرى من واجبه الإفاضة بما جاء في نزولها وتفسيرها، ولا يرضى لنفسه أن يكون عمله مبتورا، وسعيه مخدجا، فذكرها من أئمة التفسير الطبري المتوفى ٣١٠هـ في تفسيره، والثعلبي المتوفى ٤٢٧/ ٤٣٧هـ في تفسيره، والواحدي المتوفى ٤٦٨هـ في أسباب النزول، والقرطبي المتوفى

٥٦٧هـ في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره، والفخر الرازي المتوفى ٦٠٦هـ في تفسيره الكبير، وابن كثير الشامي المتوفى ٧٧٤هـ في تفسيره، والنيشابوري المتوفى في القرن الثامن في تفسيره، وجلال الدين السيوطي في تفسيره، والخطيب الشربيني في تفسيره، والآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ في تفسيره، وغيرهم.

والمتكلم حين يقيم البراهين في كل مسألة من مسائل علم الكلام، إذا انتهى به السير إلى مسألة الإمامة فلا منتدح له من التعرض لحديث الغدير حجة على المدعي أو نقلا لحجة الخصم، وإن أردفه بالمناقشة في الحساب عند الدلالة، كالقاضي أبي بكر الباقلاني البصري المتوفى سنة ٤٠٣هـ في التمهيد، والقاضي عبدالرحمن الإيجي الشافعي المتوفى ٧٥٦هـ في المواقف، والسيد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ في شرح المواقف، والبيضاوي المتوفى ٦٨٥هـ في طوالع الأنوار، وشمس الدين الأصفهاني في مطالع الأنظار، والتفتازاني المتوفى ٧٩٢هـ في شرح المقاصد، والقوشجي المولى علاء الدين المتوفى ٨٧٩هـ في شرح التجريد. وهذا لفظهم.

إن النبي صلى الله عليه وآله قد جمع الناس يوم غدير خم -موضع بين مكة والمدينة بالجحفة- وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع، وكان يوما صائفا حتى أن الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر، وجمع الرجال، وصعد عليها، وقال مخاطبا: «معاشر المسلمين ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: اللهم بلى، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

ومن المتكلمين القاضي النجم محمد الشافعي المتوفى ٨٧٦هـ في بديع المعاني، وجلال الدين السيوطي في أربعينه، ومفتي الشام حامد بن علي العمادي في الصلاة الفاخرة بالأحاديث المتواترة، والآلوسي البغدادي المتوفى ١٣٢٤هـ في نثر اللآلي، وغيرهم.

واللغوي لا يجد منتدحا من الايعاز إلى حديث الغدير عند إفاضة القول في معنى المولى أو الخم أو الغدير أو الولي، كابن دريد محمد بن الحسن المتوفى ٣٢١هـ في جمهرته ج١،ص٧١ وابن الأثير في النهاية، والحموي في معجم البلدان في خم، والزبيدي الحنفي في تاج العروس، والنبهاني في المجموعة النبهانية.

[موسوعة الغدير]

اضطراب التاريخ

الشيخ محمد رضا المظفر

هناك بلاء مني به التاريخ الاسلامي خاصة احاطه بالغموض والشك عن الباحثين المنصفين، ذلك كثرة ما لفقه الوضاعون والدساسون في القرون الاولى من الهجرة، لا سيما القرن الاول فأشاحوا بوجه الحقائق وقلبوها رأسا لعقب.

و ليس أدل على ذلك من التناقض والاضطراب الموجود في اكثر احاديث الوقائع التاريخية، فضلا عن الاحكام الشرعية، ما عدا الاختلاف في خصوصيات الحوادث والاحكام مما يذهب بالاطمئنان الى كل حديث، ولا اظن ناظرا في التاريخ لا يصطدم بهذه الحقيقة المرة، ولا يمكن ان يحمل كل ذلك على الغلط في النقل والغفلة في الرواية.

و لنعتبر بأهم حادثة يجب اتقانها عادة، مثل يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فإنك تعلم كيف وقع الاختلاف في تعيين اليوم من الشهر بل في تعيين الشهر، وهذا أمر شهده جميع المسلمين وهزهم هزا عنيفا فلا يمكن ان يفرض فيه النسيان او الغفلة، فماذا ننتظر بعد هذا من تاريخ حروبه واحواله، ومن نقل اقواله واحاديثه لا سيما فيما يتعلق بالشؤون التي اختلف فيها المسلمون فتحاربوا عليها، او تشاتموا لأجلها فكفر بعضهم بعضاً. ولعل اسباب الوضع ثلاثة اشياء:

١. حب تأييد النزاعات والعقائد، فيغري على الكذب ولعل ذلك يخدعه بأن الرأي الذي يعتقده حقا يسوغ له الوضع، ما دام الموضوع في اعتقاده هو او شبيه به.

٢. حب الظهور والتفوق فقد كان للمحدث في العصور الاولى المنزلة العظيمة بين العامة، وبالحديث كان التفاخر والتقدم، ويمتاز من كان عنده من الحديث ما ليس عند الناس، فأغرى ذلك ضعفاء العقول وعبدة الجاه، فاحتالوا للحديث من كل سبيل، حتى من طريق الوضع والتزوير.

٣. ما بذله الامويون واشياعهم من كل غال ورخيص للمحدثين على وضع ما يؤيد دسيستهم وملكهم واهواءهم، ولا سيما فيما يحط من كرامة آل البيت، وفيما يرفع من شأن اعدائهم وخصومهم، فكثرت القالة يومئذ واتسع الخرق، حتى طعن الاسلام طعنة نجلاء لم يبرأ منها الى يوم الناس هذا.

[السقيفة]

ملامح من ثورة الحسين عليه السلام

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

الثورة الصحيحة هي الاحتجاج النهائي الحاسم على الواقع المعاش، فبعد أن تخفق جميع الوسائل الأخرى في تطوير الواقع تصبح الثورة قدراً حتمياً لا بدّ منه.

والقائمون بالثورة الصحيحة هم دائماً أصحّ أجزاء الأمّة، هم الطّليعة، هم النُّخبة التي لم يأسرها الواقع المعاش، وإنّما بقيت في مستوى أعلى منه وإن كانت تدركه، وتُعبه وترصده، وتنفعل به، وتتعذّب بسببه.

تُصبح الثورة قدر هذه النُّخبة ومصيرها المحتوم حيث تُخفق جميع وسائل الإصلاح الأخرى، وإلّا فإنّ هذه النُّخبة تفقد مبررات وجودها إذا لم تثر،

ولا يُمكن أن يُقال عنها أنّها نُخبة، أنّها تكون نُخبة حين يكون لها دور تأريخي، وحين تقوم بهذا الدور.

ولا بدّ أن تُبشر بأخلاق جديدة إذا حدثت في مجتمع ليس له تُراث ديني وإنساني يضمن لأفراده لو اتّبع حياة إنسانيّة متكاملة، أو تُحيي المبادئ والقيم التي هجرها المجتمع، أو حرّفها إذا كان للمجتمع مثل هذا التراث، كما هو الحال في المجتمع الإسلامي الذي كانت سياسة الأُمويِّين المجافية للإسلام تحمله على هجر القيم الإسلاميّة، واستلهام الأخلاق الجاهليّة في الحياة، وتوفّر هذا الهدف في الثورة الصحيحة من جملة مقوّمات وجودها؛ لأنّ العلاقات الإنسانيّة في الواقع علاقات منحطّة وفاسدة، وموقف الإنسان من الحياة موقف متخاذل، أو موسوم بالانحطاط والانهيار، ولذلك انتهى الواقع إلى حدّ من السوء بحيث غدت الثورة علاجه الوحيد. وإذاً فالدعوة إلى نموذج من الأخلاق أسمى ممّا يمارسه المجتمع ضرورة لازمة؛ لأنّه لا بدّ أن تتغيّر نظرة الإنسان إلى نفسه، وإلى الآخرين وإلى الحياة؛ ليمكن إصلاح المجتمع.

ولقد قدّم الحسين عليه السلام وأصحابه الأخلاق الإسلاميّة العالية بكامل صفاتها ونقائها، ولم يُقدّموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم، وإنّما كتبوه بدمائهم، بحياتهم...

لقد اعتاد الرجل العادي إذ ذاك أن يرى الزعيم القبلي، أو الزعيم الديني يبيع ضميره بالمال، وبعرض الحياة الدنيا. لقد اعتاد أن يرى الجباه تعنو خضوعاً وخشوعاً لطاغية حقير؛ لمجرّد أنّه يملك أن يحرم من العطاء. لقد خضع الزعماء الدينيون والسياسيون ليزيد على علمهم بحقارته وانحطاطه، وخضعوا لعبيد الله بن زياد على علمهم بأصله الحقير، ومنبته الوضيع، وخضعوا لغير هذا وذلك من الطغاة؛ لأنّ هؤلاء الطغاة يملكون الجاه، والمال، والنفوذ، ولأنّ التقرّب منهم، والتودّد إليهم كفيل بأن يجعلهم ذوي نفوذ في المجتمع، وأن يسبغ عليهم النعمة والرفاه وهناءة العيش. وكان هؤلاء الزعماء يرتكبون كلّ شيء في سبيل نيل هذه الحظوة، كانوا يخونون مجتمعهم، فيتمالؤون مع هؤلاء الطغاة على إذلال هذا المجتمع وسحقه، وحرمانه، وكانوا يخونون ضمائرهم، فيبتدعون من ألوان الكذب ما يدعم هذه العروش، وكانوا يخونون دينهم الذي يأمرهم بتحطيم الطغاة بدل عبادتهم.

كان الرجل العادي في المجتمع الإسلامي آنذاك يعرف هذا اللون من الرجال، ويعرف لوناً آخر منهم، وهم أولئك الزهاد الدجّالون الذين يتظاهرون بالزهد رياءً ونفاقاً، حتّى إذا تقرّبوا من الطغاة كانوا لهم أعواناً وأنصاراً. إنّهم هذا الصنف الذي وصفه الإمام علي عليه السلام بقوله:

«ومنهم مَنْ يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه،

وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه، وزخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية»[1].

هؤلاء هم الزعماء الذين كان الرجل العادي يعرفهم وقد اعتادهم وألِفَهم، بحيث غدا يرى عملهم هذا طبيعياً لا يثير التساؤل.

ولذلك فقد كان غريباً جدًّ على كثير من المسلمين آنذاك أن يروا إنساناً يخيّر بين حياة رافهة فيها الغنى، وفيها المتعة، وفيها النفوذ والطاعة، ولكن فيها إلى جانب ذلك كلّه الخضوع لطاغية، والإسهام معه في طغيانه، والمساومة على المبدأ والخيانة له، وبين الموت عطشاً، مع قتل الصفوة الخلّص من أصحابه، وأولاده وإخوته، وأهل بيته جميعاً أمامه، وحيث تنظر إليهم عينه في ساعاتهم الأخيرة وهم يلوبون ظمأ، وهم يكافحون بضراوة وإصرار عدوّاً هائلاً يريد لهم الموت، أو هذا اللون من الحياة، ثمّ يرى مصارعهم واحداً بعد واحد، وأنّه ليعلم أي مصير فاجع محزن ينتظر آله ونساءه من بعده، سبي، وتشريد، ونقل من بلد إلى بلد، وحرمان...

يعلم ذلك كلّه ثمّ يختار هذا اللون الرهيب من الموت على هذا اللون الرغيد من الحياة.

لقد كان غريباً جدًّ على هؤلاء أن يروا إنساناً كهذا.. لقد اعتادوا على زعماء يمرّغون بجباههم في التراب خوفاً من مصير أهون من هذا بكثير أمثال عمر بن سعد، والأشعث بن قيس ونظائرهما. تعوّدوا على هؤلاء فكان غريباً عليهم أن يُشاهدوا هذا النموذج العملاق من الإنسان، هذا النموذج الذي تعالى ويتعالى حتّى ليكاد القائل أن يقول: ما هذا بشراً..

ولقد هزّ هذا اللون من الأخلاق.. هذا اللون من السلوك الضّمير المسلم هزًّ مُتداركاً، وأيقظه من سُباته المَرضي الطويل؛ ليُشاهد صفحة جديدة مشرقة يكتبها الإنسان بدمه في سبيل الشّرف والمبدأ، والحياة العارية من الذلّ والعبودية. ولقد كشف له عن زيف الحياة التي يحياها.. وشق له طريقاً جديداً في العمل، وقدّم له أسلوباً جديداً في ممارسة الحياة، فيه قسوة، وفيه حرمان، ولكنّه طريق مضيء لا طريق غيره جدير بالإنسان.

ولقد غدا هذا اللون المشرق من الأخلاق، وهذا النموذج الباهر من السلوك خطراً رهيباً على حاكم يُجافي روح الإسلام في حكمه. إنّ ضمائر الزعماء قليلاً ما تتأثّر بهذه المُثل المُضيئة، ولكنّ الذي يتأثّر هي الأمّة، وهذا هو ما كان يريده الحسين عليه السلام: لقد كان يريد شقّ الطريق للأمّة المُستعبدة لتُناضل عن إنسانيتها.

وفي جميع مراحل الثورة، مُنذ بدايتها في المدينة حتّى ختامها الدّامي في كربلاء نلمح التصميم على هذا النمط العالي من السلوك.

[ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية]

(١) انظر: نهج البلاغة / الخطبة ٣٢.

الرئيس الصديق...

عباس محمود العقاد

من الحُسن أن نكتب عن محمد ﷺ الرئيس بعد كتابتنا عن محمد ﷺ الصديق؛ لأنه هو قد جعل للرئاسة معنى الصداقة المختارة، فمحمد ﷺ الرئيس هو الصديق الأكبر لمرؤوسيه، مع استطاعته أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان...

فهناك الحكم بسلطان الدنيا.

وهناك الحكم بسلطان الآخرة.

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة.

وكل أولئك كان لمحمد ﷺ الحق الأول فيه؛ كان له من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين في رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذي يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون... وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه أكفأ كفء وأوقر مهيب.

ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر، بسلطان الصديق الأكبر؛ بسلطان الحب والرضا والاختيار...

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال، وكان حب التابعين شرطًا عنده من شروط الإمامة في الحكم بل في العبادة، فالإمام المكروه لا تُرضى له صلاة.

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه، فروي أنه: (كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة.

فقال رجل: يا رسول الله! عليَّ ذبحها، وقال آخر: وعليَّ سلخها، وقال آخر: عليَّ طبخها.

فقال ﷺ: «وعليَّ جمع الحطب».

فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل.

قال ﷺ: «علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه».

وأبى -والمسلمون يعملون في حفر الخندق حول المدينة- إلا أن يعمل معهم بيديه.

ولولا أنها سنة حميدة يستنها للرؤساء في حمل التكاليف لأعفى نفسه من ذلك العمل وأعفاه المسلمون منه شاكرين.

وجعل قضاء حوائج الناس أمانًا من عذاب الله أو كما قال: «إن لله تعالى عبادًا اختصهم بحوائج الناس، يفزع إليهم الناس في حوائجهم. أولئك الآمنون من عذاب الله»[1].

[عبقرية محمد ﷺ]

(١) حلية الأولياء: ج ٣، ص ٢٢٥.

استصغار الذنب
المحقق الداماد

قيمة وخصائص الأسرة المنظمة
د. علي قائمي

التشاور والعزم والتوكل
محمد تقي فلسفي

تأثير المزاج على الأخلاق
الشيخ محمد مهدي النراقي

أهمية الطبقة العامّة في المجتمع
الشيخ محمد السند

استصغار الذنب

المحقق الداماد

انّ استحقار أو استصغار المعصية كبيرة كانت أو صغيرة كاد ينتهي بالمرء إلى باب الأمن من مكر الله والتّخلع من خشية الله والوجل من الذّنوب والتّوقي من نكاياتها لا يستوجبان اليأس من روح الله ولا يستدفعان حسن الظَّنّ بالله إذا الوبال والنّكال والسّلاسل والأغلال من لوازم ماهيات المعاصي والآثام والعقوبات الإلهيّة من باب المحض والتّخليص والتّأديب والتّمحيص فهو الرّحيم اللَّطيف الَّذي تسعى رحمته إمام غضبه ولطفه إمام قهره من تلقاء اللَّطف وغضبه من باب الرّحمة وإلى هذا ينظر من يذهب إلى أنّه لا يسوغ في ذكر الله سبحانه افراد الأسماء الحسنى القهريّة كالقابض والخافض والمذلّ والضّارّ عن مقابلاتها من أسماء اللَّطف والرّحمة كالباسط والرّافع والمعزّ والنّافع كما يسوغ العكس، وامّا من يذهب إلى عدم تسويغ الافراد في شيء من الطَّرفين أصلا ويقول الحقيق بحسن الأدب القران بين كلّ متقابلين من الأسماء الحسنى المقدّسة الإلهيّة، وبه قال شيخنا الشّهيد في قواعده فلعلَّه يكون لاحظا انّ

قصيا غايات العزّ والجلال مستوجبة تعانق الأسماء المتقابلة الكمالية بحيث يكون كلّ من المتقابلين على أعلى مراتب العلوّ والمجد في محوضة الاستيلاء والمهيمنيّة وشدّة التمجّد والكماليّة، فتخصيص الذّكر بأحد الطَّرفين يتنائى عنه مقام التّمجيد والتّقديس ويتعالى عنه جناب المجيد الحق من كلّ جهة ثمّ من حقّ ميزان العبودية في درجات مقام التّعبّد والتذلُّل تكافؤ كفّتي الخوف والرّجاء بحيث لا ترجح إحداهما على الأخرى ما دامت الحياة إلّا عندما يظنّ انّه قد دنا عهد الرّحيل وحان حين الموت، إذ رجحان كفّة الرّجاء هنالك أوثق درجة من الدّرجات وأحقّ وسيلة من الوسائل وقد روى شيخ الملّة وأمين الاسلام أبو جعفر الكليني رضي الله تعالى عنه في كتابه الكافي بطريقه الموثّق عن الحرث بن المغيرة أو أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصيّة لقمان قال «كان فيها الأعاجيب وكان أعجب ما فيها ان قال لابنه خف الله عزّ وجلّ خيفة لو جئته ببرّ الثّقلين لعذّبك وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثّقلين لرحمك، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: كان أبي يقول انّه ليس من عبدمؤمن إلّا في قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا»، ولو وزن هذا لم يزد على هذا قلت ولعلّ في تأخيره عليه السلام الرّجاء عن الخوف ايماء لطيفا إلى ما ذكرنا انّه يحقّ أن تكون خاتمة الحياة الظَّاهريّة الجسدانيّة على مقام الرّجاء ورجحان كفّته وسطوع بنيان درجته، وامّا انّ الدّرجتين متصادمتان متضادّتان فكيف يتصحّح أن تكونا متقاومتين متكافئتي الحصول في نفس واحدة في زمان واحد، فالتّحقيق فيه انّ الرّجاء يكون بحسب شأن الجناب الرّحمانيّ من حيث النّظر إلى تمام الرّأفة الجامعة الرّبوبيّة وكمال الرّحمة الواسعة الإلهيّة ولحاظ انّ جلال القويّ المطلق سبحانه أجلّ من مؤاخذة المستضعفين وكرم الغنيّ الحقّ جلّ سلطانه أوسع من مقاصّة المفتاقين والخوف بحسب حال الذّمّة الخاطئة الجانية على نفسها من حيث لحاظ مجاوزة الحدّ في التّقصير في حقّ الله والتّفريط في جنب الله لما قد عشيتها من تلقاء قصور الفطرة ونقص المادة وكيفية الطَّبيعة وفرط سوء الاستعداد والعلوم والمعارف والطَّاعات والخيرات وان تبالغت وتكاثرت فهي في حقوق نعمه العظام المتبالغة المتكاثرة ومننه الجسام المتسابغة المتواترة كحجم نقطة المركز في جنب احجام كرات العناصر وحجوم اجرام الأفلاك من قرارة مركز الأرض إلى محدّب الفلك الأقصى.

ومع ذلك فإنّها أيضا من صوبه ومن لدنه

ومن صقع قبضه وفضله ومن باب جوده ومنّه إذ كلّ ذات وكل كمال ذات وكلّ كمال مّا لذات وكل وجود وكلّ كمال وجود وكلّ كمال مّا لوجود فمن صنع فعّاليّته ومن اصطناع وهّابيّته ولا خير بالذّات أو بالعرض على الاطلاق إلَّا من تلقاء جناب الخير المحض بالذّات، فاذن قد اختلفتا الحيثيّة واستبان إنّ الله سبحانه لا يرجى إلَّا فضله ولا يخاف إلَّا عدله وذلك كما انّه إذا لاحظ العقل جهة كمال ذاته القدّوس الحقّ وأحاطته القيّوميّة الوجوبيّة غير المحجوبة بحاجب وحاجز مثلا وجده سبحانه قريبا وأقرب إلى كلّ شيء ولا سيّما إلى الانسان العارف من نفس نفسه ومن طباع ذاته وإذا لاحظ جهة نقص الذّات الامكانيّة والهويّة الجوازيّة الممنوّة بحسب نفس جوهرها ببطلان الذّات وهلاك الهويّة صادف هناك بعداً في الغاية ونأياً في النّهاية ولكن لا بحسب شأن الذّات الكاملة الحقّة من كلّ جهة بل بحسب حال الهويّة النّاقصة الباطلة من حيث جوهر ذاتها فلا حجاب بينه وبين خلقه إلَّا خلقه ولقد ورد هذا في خطب أمير المؤمنين وأولاده الطّاهرين صلوات الله وتسليماته عليه وعليهم أجمعين وقد أوضحنا تفسيره في حواشينا المعلّقات على كتاب الكافي فحيث يرى القرب الإحاطي بحسب شأن الجناب الرّبوبيّ يعتبر مقام الخطاب فيقال لا إله إلَّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين وحيث يلحظ البعد السّقوطي بحسب حال النّقصان المربوبيّ يستعمل ضمير الغيبة فيقال لا إله إلَّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم ثمّ ليعلم انّه ما من شفيع إلى الله وذريعة إلى رحمة الله مثل حسن الظَّنّ بالله فما عبدمؤمن قد أحسن ظنّه بالله إلَّا وقد كان الله عند حسن ظنّه ومن المستبعد جدّا انّ عبدا مؤمنا يحسن ظنّه بربّه الكريم الجواد ويستوثق أمله ورجاءه منه ثمّ هو يخلف ظنه ويخيّب أمله ويكذّب رجاءه ولكن من حسن الظَّنّ بالله أن لا ترجو إلَّا فضله ولا تخاف إلَّا ذنبك.

[السبع الشداد]

التشاور والعزم والتوكل

محمد تقي فلسفي

لا شك في أن الأنبياء كانوا رجالا ذوي إرادة قوية، ومعتمدين على أنفسهم، ولكن أساس الطاقات المذهلة التي كانوا يملكونها هو التوكل على الله. لقد كان يستحيل على موسى بن عمران أن يقارع فرعون بفضل اعتماده على نفسه فقط، وأن يقوم بوحده بهدم تلك الحكومة الظالمة القوية، لكن توكله على قدرة الله وعظمته هو الذي منحه القدرة على ذلك كله.

وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وآله فإنه ذو شخصية روحية صلبة، واستقلال في الإرادة لا يضاهى.. ولكن الطاقة التي منحته القوة في ذلك الظرف الأهوج، والدور العصيب، وأعطته الاستقرار والهدوء في أشدّ المواقف، ومكنته من خوض المعارك العقيدية والسياسية والاجتماعية بكل نجاح... إنما هي الإيمان بالله والاستناد الى عظمته.

لقد ذكر القرآن الكريم منهج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، الذي سرّ نجاحه وتقدمه في عبارة موجزة حيث قال: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾[1].

لقد ذكرت هذه الآية الكريمة واجب النبي تجاه الناس، وواجبه تجاه نفسه، وواجبه تجاه الله تعالى:

أما واجبه تجاه الناس فقد كان عبارة عن استشارتهم في الأمور الاجتماعية، ورسم الخطط العسكرية، وغير ذلك من الأمور التي لم يرد بشأنها نصّ.. وعن طريق التشاور وتبادل الآراء يعين للمسلمين طرق انتصارهم وتقدمهم. إن الاعتماد على الناس، والفرار من عبء المسؤولية استناداً

(١) آل عمران: ١٥٩.

الى جهود الآخرين مذموم في الإسلام. أما احترام شخصية الأفراد ومعاشرتهم بالجميل، واستشارة العقلاء وذوي الرأي منهم فهو محبذ ومرغوب فيه.

وأما واجبه تجاه نفسه فهو عبارة عن عزمه وتصميمه في الأمور وقيامه بأدائها بنفسه. يجب عليه أن يكون صلباً أمام الحوادث، لا تزعزعه المشاكل المختلفة، بل يقابلها بإرادة حديدية وثبات لا يغلب عليه.

وأما واجبه تجاه الله فهو أن يتوكل عليه بعد استشارته المسلمين، والوقوف على رأي قاطع... يجب عليه أن يستمد العون منه عز وجل، ويعزز مكانته بالاستناد الى قدرته اللامتناهية.

إن تبادل الآراء والتشاور مع الناس لتنظيم شؤون العمل، وكذلك الاعتماد على النفس، والعزم والتصميم في تنفيذ خطة العمل عاملان كبيران لنجاح البشرية وتقدمها، وقد تكفل صدر الآية الكريمة ببيان ذلك وان العلم الحديث يهتم بهذين الأمرين اهتماماً بالغاً ايضاً. لكن الطاقة التي لا تقبل الاندحار، والشعلة التي لا تنطفئ، والثروة التي تنبع منها جميع الطاقات الروحية ويستند إليها الاستقرار والاطمئنان إنما هي النقطة التي تكفل ختام الآية ببيانها، وهو الاتكال على الله.. إن الاتكال على الله اعظم من الاعتماد على النفس بكثير.

إن أعظم المراتب في المدارس التربوية العالمية هي تنمية الاعتماد على النفس وحسب. أما المدرسة الإسلامية في التربية فإنها ترقى إلى ما هو أهم من ذلك، حيث تغذي النفوس من نمير الإيمان بالله والاعتماد عليه، وهذه هي سمة فريدة يمتاز بها المنهج القرآني، دون غيره.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

أهمية الطبقة العامّة في المجتمع

الشيخ محمد السند

في فهمي القاصر أنّ هناك بعض المدارك لم تسجِّلها المحافل الحقوقية والقانونية، وهي تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «وليكن أحبّ الأُمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإنّ سخط العامّة يجحف برضا الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة»، وهذه معادلة اجتماعية يطرحها أمير المؤمنين عليه السلام، فأمير المؤمنين يقول: إنّه يجب مراعاة مصلحة العامّة، وعدم الاكتراث بمصلحة الطبقة الخاصّة، سواء كانت العائلة الحاكمة، أم الطبقة الإقطاعية ذوي القدرة والنفوذ، وهذا الوباء السرطاني في النظام الاجتماعي إياك إياك أن تراعيه، وإذا راعيته كما فعل من سبق أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فستكون النتيجة ما آل إليه أمر المسلمين حين انقضّوا على مركز الخلافة، أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد راعى مصلحة العامّة على حساب مصلحة الطبقة الخاصّة، وهذا الذي انطلق منه سيد الشهداء عليه السلام، حيث راعى مصلحة العامّة على حساب مصلحة الخاصّة، وأهل البيت عليهم السلام ومن قبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله كانت حربهم مع تلك الشجرة الإقطاعية المتمثّلة في بني أمية أيام الجاهلية وأيام الإسلام؛ لأنّها شجرة تسبب الحرمان لعامّة الناس، والحرب لم تهدأ بين بني هاشم من جهة وبني أمية وآل زياد وآل مروان من جهة أُخرى؛ لأنّهم جبهات الإقطاع والاحتكار والاستئثار، ولذلك لم يداهنهم أهل البيت عليهم السلام أبداً؛ ولأنّ أهل البيت عليهم السلام يريدون عدالة المجتمع وإنصاف

المحرومين، وكان بإمكان سيد الشهداء عليه السلام أن يقنع بمصالحه الشخصية، والخطر يتمثّل في انحراف الأُمّة عن روّاد إصلاحها، كما أشار سيد الشهداء عليه السلام في قوله: «تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم وتعساً! حين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، على عدوّكم وعدوّنا فأصبحتم إلباً على أوليائكم، ويداً لأعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منّا إليكم فهلّا لكم الويلات إن كرهتمونا والسيف مشيّم، والجأش طامن والرأي لم يستحصف»[1].

وهنا تبرز المشكلة عندما يستغفل المجتمع عن روّاد إصلاحه، وهذا المحور هو الذي قلت إنّني لم أجده في الأدبيات الحقوقية، رغم ما يرفعون من شعارات، وهذه القضية تمثّل ابتلاء في المدارس الحقوقية والقانونية والاجتماعية والإنسانية، وأمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ هناك معادلة دائماً في حالة تجاذب، ودائماً في حالة اصطدام، وهي مصلحة العامة المحرومة ومصلحة الخاصّة، لا سيّما الإقطاع، ويقول الإمام علي عليه السلام: «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونةً في الرخاء، وأقلّ معونةً له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصّة. وإنّما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء، العامّة من الأُمّة فليكن صغوك لهم، وميلك معهم»[2]، والطبقة المحرومة هي أكثر ولاء لوطنها، وهي التي تثبت في الشدّات معه، وهذه الطبقة العامّة من المجتمع يركّز عليها أمير المؤمنين عليه السلام، ويأمر حاكم المسلمين أن يصغي إليها، بدلا من الإصغاء إلى أصحاب المصالح والإقطاعيين، وكلّ قانون مهما كان نوعه، قانون تجاري أو جمركي أو زراعي أو صناعي أو إداري، يراعى فيه مصلحة الخاصّة ولا تراعى فيه مصلحة العامّة، فهو قانون جائر ظالم غاشم لا يراعي العدل الاجتماعي، وتملأ فيه جيوب الإقطاع، وتحرم من خلاله الطبقات الفقيرة والمستضعفة وعامّة الناس.

(١) الاحتجاج ٢: ٩٧، احتجاجه عليه السلام على أهل الكوفة.

(٢) نهج البلاغة: رسائل أمير المؤمنين، رقم٥٣.

قيمة وخصائص
الأسرة المنظمة

د. علي قائمي

يقدم الفرد على الزواج وتشكيل الاسرة من خلال مسيرة الرشد والتكامل الانساني، ومن الطبيعي ان تكون حصيلة وثمرة تشكيل الاسرة هي الاستقرار والراحة والاستثمار المناسب. والاستفادة الصحيحة من مواهب الحياة، وضمان بقاء النوع الانساني في ظل التعاون والايثار والمحبة والمشاركة. وبشكل عام ليس هناك صلة قرابة اهم من القرابة الموجودة داخل الاسرة بين الوالدين والابناء وفي ظل هذه الصلة يتجسد العمق الحقيقي للرغبة في التناسل ولا يمكن ان نبين معنى المشاركة والتعاون الحقيقي إلا من خلال ذلك القالب.

تتجلى لذة الحياة ومتعتها في المحبة والصداقة وفي التضحية والايثار، وفي الاخلاق والآداب العائلية الكريمة، وفي تفكير الزوجين والابناء النقي والصافي، وهذا الامر لا يمكن مشاهدته في أي كيان آخر.

- **قيمة الأسرة المنظمة:**

ما ذكرناه سابقاً كان جزءاً من خصائص الاسرة المنظمة والمتوازنة، حيث يمكن التمييز بين نوعين من الاسر في المجتمع؛ الاسرة المنظمة، والاسرة غير المنظمة.

فنقول عن اسرة ما: انها منظمة إذا تم فيها مراعاة الالتزامات المتبادلة، وتم عقد الزواج والتوافق المقدس بين الزوجين بناءً على تفاهم خاص وبالاستناد الى الدين او المذهب المتوافق عليه، وهكذا يعيش كل من المرأة والرجل في حدوده الخاصة وفقاً للحقوق المتفق عليها، وهكذا فإنه من الطبيعي ان نصف الاسرة التي لا تُرَاعَى فيها مثل هذه المقررات بأنها غير منظمة،...

وعن قيمة الاسرة المنظمة علينا القول: بأن ما يدور فيها هو تجسد ومظهر من تجليات الحياة في الجنة.

الزوج والزوجة فيها كملكين سماويين احتضنا ابناءهما، وعقدا العزم على تربيتهم وتنشئتهم والقيام بوظائفهما على اكمل وجه، وفي اسرة كهذه تسطع شمس الرحمة والعناية الاهلية، وتلقي المحبة بظلالها، وتصبح الاسرة مركز الرشد والصفاء الانساني.

وأما عن الابناء الذين سيكونون جيلاً جديداً ينبثق وينبعث عن هذه الاسرة، فهم سفراء رحمة، لا عقارب لاسعة تنشر الاذى وتسبب المصائب للآخرين.

- **خصائص الاسرة المنظمة:**

لإدراك اهمية وقيمة الاسرة المنظمة بشكل اكبر، سنشير هنا الى بعض خصائصها التي اكد عليها الاسلام واولاها اهمية بالغة، كما ندعو القراء الاعزاء هنا إلى الالتزام بالأسس والمعايير التي اوصى بها ديننا الحنيف.

١. **من ناحية تشكيل الاسرة:** لقد قَبِل كل من الزوجة والزوج العقد الزوجي والتزما به، ليس لإرضاء الغريزة والهوى فقط، بل من اجل التكامل وتكميل كل منهما للآخر، والاستجابة لنداء الفطرة السليمة والسنة السمحة، وبلوغ اعلى درجات الصداقة والمودة، والتوصل الى الراحة والاستقرار الذي يبني الانسان الحقيقي، كما اخذ كل من الزوجين المعايير الاسلامية بعين الاعتبار عند اختياره للآخر، والتفت الى الاخلاق والايمان لا للثروة والجمال، وكان الله حاضراً في اعتبارهما عند تكوين هذه الخلية، وليس القصد والغرض من ذلك بلوغ مقام، او منزلة، او شهرة ما.

٢. **من ناحية الهدف والقصد:** تدور حياة الاسرة المتوازنة والمنظمة في فلك تحقيق الهدف والغاية التي تعهد الزوجان بتحقيقها ومراعاتها، وهي كسب رضا الله تعالى، والسير والحركة في المسير الذي عينه للإنسان، وفي الحقيقة لا يليق بالإنسان المتمسك بفكر ما ان يكون بلا هدف او مقصد ينشده، ولقد ورد في الاحكام الاسلامية خصوصاً التأكيد على النية والقصد في جميع شؤون الحياة، حتى في الاكل والشرب.

ولا شك في ان المراد هنا، هو الالتفات الى الهدف، وعدم التفريط به تحت اي ظرف كان.

٣. **من ناحية الوسط والمحيط:** تسعى الاسرة المنظمة دائماً الى جعل المحيط الاسري مفعماً بالاعتدال والصفاء والمودة، من خلال قيام كل فرد من افرادها بواجباته على اكمل وجه، وبذلك تنشأ الشروط المناسبة للرشد، والنمو، والتربية، والسعادة، وإضفاء روح المحبة. وفهم الواجب وتقديسه، وإفساح المجال امام الصلاح والتقوى والطمأنينة والسكينة، وبذلك يشعر اعضاء الاسرة بالمحبة والامان، ويصبحون في مأمن من الاضطراب، والقلق، والاحساس بالإرهاق، والانفعال العشوائي، وعدم الاستقرار.

٤. **علاقات الزوجين:** يسعى كل من الزوج والزوجة في الاسر المتوازنة والمنظمة الى التكامل فيما بينهما وتكميل بعضهم البعض لخلق الظروف المناسبة للرشد والتكامل، جسمان منفصلان بروح واحدة، متكاتفان ومتحدان، متطابقان بالفكر والرأي، يعيشان معاً ويخفق قلب كل منهما للآخر، وإذا اصاب احدهما الم تألم الآخر لألمه، ولو فرح احدهما ابتهج الآخر واعتبر نفسه شريكاً في سعادة

الأول وبهجته، قلبهما واحد وروحهما واحدة، وكل منهما بلسم حياة الآخر، يخفق قلبه له، ويدخل السرور الى قلبه، ويعتبر كل منهما نفسه أنيس الآخر والمفرج عنه كربه وغمه، ويسعى كل منهما لتوفير الشروط المناسبة لتقرب الآخر من الله عز وجل، وتقوم الزوجة بتهيئة الظروف الكفيلة بمساندة الزوج في كسب العلم والجهاد، ومن جهة أخرى يحرص الزوج على توفير عوامل الرشد المادي والمعنوي لزوجته.

٥. **فيما يتعلق بالأبناء**: غالباً ما يبني الوالدان والابناء في الاسر المتوازنة حالة من الانسجام يكون فيها اساس العلاقات مع الابناء مبنياً على قبولهم دون تمييز بين الابن والبنت، وعلى احترامهم ورعاية حقوقهم، وتربيتهم بشكل صحيح ولائق، وإغراقهم بحب خالص، والاهتمام والعناية بوضعهم الاخلاقي والسلوكي، وعادة ما يكون للوالدين دور هام في الاشراف على بنائهم والحفاظ عليهم من الاخطار المحدقة المختلفة، كما يسعيان بكل إخلاص وصفاء الى وقايتهم والحفاظ عليهم مقابل الكثير من الاضطرابات والمطبات.

وفي هذا المجال يقول الخواجة نصير الدين الطوسي: (كانت الام منذ بدء الوجود هي المشارك والمساند للأب في السببية، فتقبل الام كل أثر أو عمل يقوم به الاب) وكذلك يحافظ كل منهما على صفاتهما المساهمة في تربية الطفل والاشراف عليه، فالأب مظهر للعدالة والأم مظهر للرأفة والرحمة.

٦. **الحضور والتواجد في المكان المناسب**: ليست الاسرة المتوازنة والمنظمة هي تلك التي تكتفي بتوفير الملابس والطعام للأطفال، والعمل على مواساة الاطفال والتخفيف عنهم، بل يجب على الاب والام في هذه الأُسَر أن يتواجدا بشكل كافٍ وضروري في الاسرة، وان يتواصلا مع ابنائهم عن قرب، وان يعملا على الاجابة عن تساؤلاتهم وإشاعة جو من التفاهم والأنس في المحيط الاسري، فيشعر الابن بجانب ابويه بالأمان والفخار، والثقة، والعزة، وأنه بجانب والديه في غبطة وسعادة عارمة حتى ان امنية الابناء تتلخص في حضور الوالدين الى جوارهم، والابتعاد عن الضجيج والمشاكل والمنازعات، ويشعر الابناء كذلك بالسعادة والهناء لرؤية والديهم في انسجام وتفاهم واتحاد تام، بينما يكتئبون ويحزنون بنفس الدرجة، عندما تكون الخصومة والنزاع هما الحاكمان في حياة والديهم.

ولا بد لنا هنا من الاشارة الى مسألة مهمة، وهي ان مجرد تواجد الوالدين في الاسرة امر غير كافٍ، بل المهم هنا هو تقوية الصلة والعلاقة بالأبناء من خلال هذا التواجد.

٧. **التعاون والمشاركة**: يتعهد اعضاء الاسرة المتوازنة والمنظمة بوظائف وواجبات مشتركة، ويسعى الجميع الى المشاركة والمساهمة في حمل اعباء الحياة وصولاً الى الهدف المرجو.

[علم النفس وتربية الايتام]

تأثير المزاج على الأخلاق

الشيخ محمد مهدي النراقي

للمزاج مدخلية تامة في الصفات، فبعض الأمزجة في أصل الخلقة مستعد لبعض الأخلاق، وبعضها مقتض لخلافه، فإنا نقطع بأن بعض الأشخاص بحسب جبلته، ولو خلي عن الأسباب الخارجية، بحيث يغضب ويخاف ويحزن بأدنى سبب، ويضحك بأدنى تعجب، وبعضهم بخلاف ذلك.

وقد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الإنسان كامل العقل، فاضل الأخلاق غالبة قوته العاقلة على قوتي الغضب والشهوة، كما في الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وقد يكون مجاوزتها عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل رديء الصفات مغلوبة عاقلته تحت سلطان الغضب والشهوة، كما في بعض الناس.

إلا أن الحق -كما يأتي- إمكان زوالها بالمعالجات المقررة في علم الأخلاق، فيجب السعي في إزالة نقائضها وتحصيل فضائلها. وعجبا لأقوام يبالغون في إعادة الصحة الجسمانية الفانية، ولا يجتهدون في تحصيل الصحة الروحانية الباقية، يطيعون قول الطبيب المجوسي في شرب الأشياء الكريهة ومزاولة الأعمال القبيحة، لأجل صحة زائلة، ولا يطيعون أمر الطبيب الإلهي لتحصيل السعادة الدائمة.

وبقاء النفس على النقصان إما لعدم صرفها طلب المقصود لملابسة العوائق والمواقع، أو مزاولة النقيض لتمكن موجبة، أو لكثرة اشتغالها بالشواغل المحسوسة، أو لضعف القوة العاقلة، فإن لم تدركها العناية الإلهية فلا يزال يتزايد النقصان ويبعد عن الكمال الذي خلق لأجله، إلى أن تدركها الهلاكة الأبدية والشقاوة السرمدية، نعوذ بالله من ذلك، وإن أدركته الرحمة الأزلية، فيصرف همه في إزالة النقائص، واكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبة من الكمال إلى فوقها، حتى يصير من أهل مشاهدة الجلال والجمال، ويتشرف بجوار الرب، المتعال ويصل إلى السرور الحقيقي، الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وإلى قرة الأعين التي يشير إليها في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1].

(١) السجدة: ١٧.

الهجاء في معرض المدح

ابن أبي الأصبع

ولادة الهلال

المهندس محمّد علي الصائغ

جريدة الهاتف

إعداد أوراق

محطة شعرية

الهجاء في معرض المدح

ابن أبي الأصبع

وهو أن يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه، كقول بعضهم في بعض الأشراف (الوافر):

له حق وليس عليه حق

ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا

عليه لغيره وهو الرسول

فأما ألفاظ البيت الأول على انفرادها فلا تكاد تصلح إلا للمدح ولا يفهم منها غيره، وأما البيت الثاني لو انفرد أيضاً لما فهم منه مدح ولا هجاء، وكان إلى باب من الأبواب أقرب من هذين البابين، لكنه لما اقترن بالأول أهل نفسه وأخاه للهجاء، وعدل بألفاظهما عن الثناء وحصل من اجتماعهما ما ليس لكل منهما على انفراده.

ومن أمثلة هذا الباب أيضاً قول عبدالصمد ابن المعدل أو أبي العميثل في أبي تمام وقد كانت في لسانه حبسة (مجزوء رمل):

يا نبي الله في الشع

ر ويا عيسى بن مريم

أنت من أشعر خلق الله

ما لم تتكلم

فإن حال هذين البيتين حال البيتين اللذين قبلهما، إذ الأول منهما إذا انفرد كان مدحاً محضاً، وإذا اجتمعا صار هجاءً بحتاً، غير أن ثاني الآخرين مخالف لثاني الأولين.

ومن ملح هذا الباب قول السعيد بن سناء الملك رحمه الله في قواد (السريع):

لي صاحب أفديه من صاحب

حلو التأني حسن الاحتيال

لو شاء من رقة ألفاظه

ألف ما بين الهدى والضلال

يكفيك منه أنه ربما

قاد إلى المهجور طيف الخيال

وهذا النمط غير النمط الأول الذي قدمناه، وهذا من لطيف التوجيه، ولقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد رحمه الله في هذا المقطع بقولي

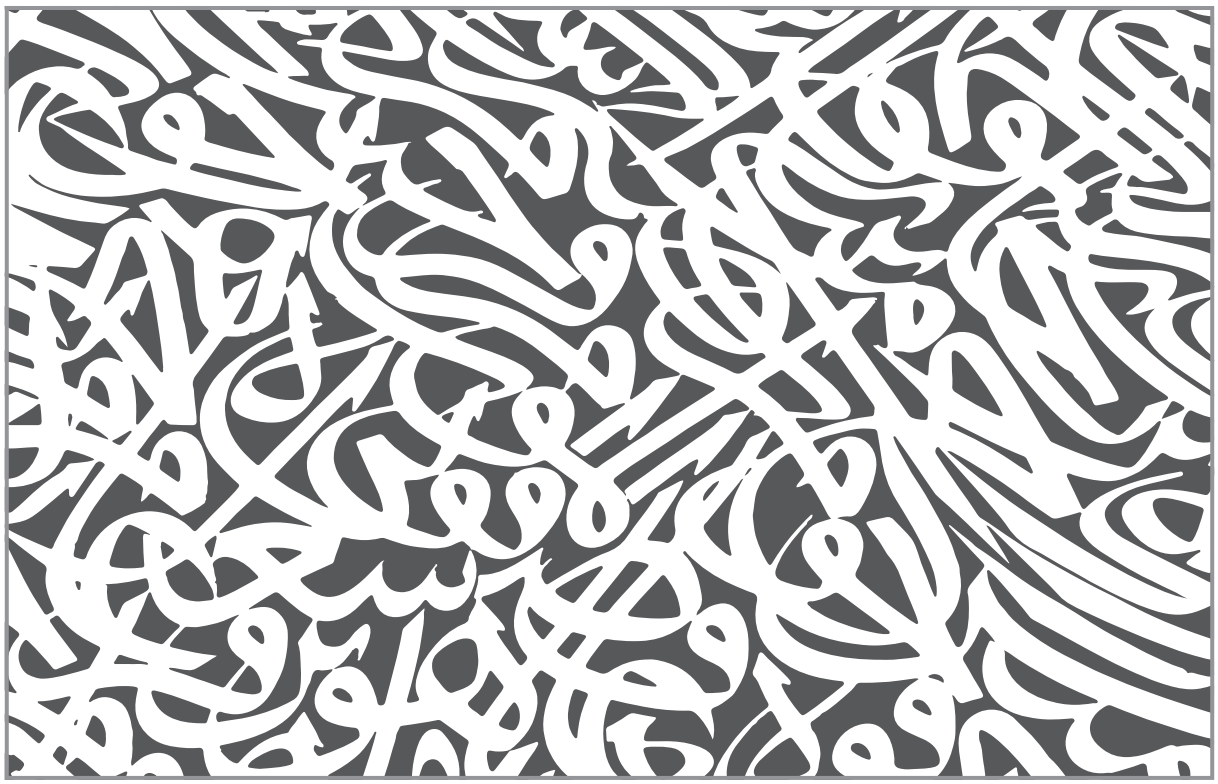

فيمن ادعى الفقه والكرم وانتحل هاتين الشيمتين دون بقية الشيم، وهو ممن يتهم (السريع):

ابن فلان أكرم الناس لا

يمنع ذا الحاجة من فلسه

وهو فقيه ذو اجتهاد وقد

نص على التقليد في درسه

يستحسن البحث على وجهه

ويوجب الدخل على نفسه

وكل توطئة وقعت في هذا النمط الثاني صالحة للمدح البحت فإذا اقترنت بأبيات المعاني انقلب ما كان فيها مدحاً تهكماً، وصارت هي بنفسها هجاء، والذي أفرد هذا الباب بنفسه عن باب التهكم مع أن الذي فيه من المدح تهكم هو أن التهكم لا تخلو ألفاظه من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة يفهم من فحواها الهجو.. وألفاظ المدح في هذا الباب لا يقع فيها شيء من ذلك، ولا تزال م-فرقة ومجتمعة- تدل على مجرد المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عن ذلك، وشواهد التهكم لا تخلو عن ألفاظ التهكم في أبيات التوطئة، وأبيات المعاني، وما يقع في هذا الباب من التهكم إنما يقع في التوطئة دون أبيات المعاني، والله أعلم.

[تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر]

جريدة الهاتف

جريدة أدبية ثقافية أسبوعية يصدرها الاديب والصحفي الأستاذ جعفر أسد الخليلي (صاحب موسوعة العتبات المقدسة) وهو رئيس تحريرها ومديرها.

وقد أصدر عددها الاول في ٢٩ محرم (١٣٥٤هـ)، الموافق ٣ أيار (١٩٣٥م) في النجف الأشرف، حيث كانت تصدر كل يوم جمعة.

وكانت ابواب المجلة على النحو التالي: (مثلثات - العالم في اسبوع - مشاكل الحياة - حقل الشعر - قصة العدد)، وكانت هذه المجلة من ارقى المجلات الادبية الصادرة في تلك الفترة حيث استقطبت الاقلام الشابة من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية فصارت منبراً حراً لأفكار الشباب، ولا سيما الشباب النجفي.

واستطاع جعفر الخليلي ان يستمر في اصدار مجلة (الهاتف) رغم العقبات والصعوبات التي واجهها، فقد اضطر الى بيع كتبه ومكتبة والده الثمنية من اجل شراء الورق الذي ارتفع سعره جداً في سنوات الحرب العالمية الثانية، فاستمرت المجلة في الصدور بسبب تضحيات صاحبها رغم ان العديد من الصحف أفل نجمها بظروف ومصاعب اقل من تلك التي تعرضت لها مجلة (الهاتف).

وقد نقل الخليلي مجلته من النجف الى بغداد في عام (١٩٤٨م) وكانت تصدر هناك بالاسم نفسه، ثم تحولت إلى جريدة يومية سياسية لمدة أربع سنوات متواصلة، وقد صدر العدد السياسي الأول تحت رقم (٥٢٨) في ٢٧ كانون الأول (١٩٤٩م) وتوقفت في ١٧ تشرين الأول (١٩٥٢م)، فعادت أدبية أسبوعية حتى عام (١٩٥٤م) إلى أن اغلقت بموجب مرسوم حكومي صدر في العام ذاته من قبل رئيس الوزراء نوري السعيد، فكان مجموع عمرها عشرين سنة كاملة صدرت في النجف وبغداد دون انقطاع.

لقد ترك الخليلي اثره في عدد ليس قليلا

من الكتاب والقصاصين الذين وجدوا في مجلته العتيدة (الهاتف) ترحيبا لنشر نتاجاتهم، هؤلاء الذين اطلق عليهم الدكتور عبدالاله احمد في كتابه (الفن القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية) تسمية (الاتجاه النجفي في القصة)، وتكريما له ولمجلته (الهاتف)، اطلقت محافظة النجف اسم (الهاتف) على شارع مهم من شوارعها.

بداية الخليلي مع عالم الصحافة

ان لجعفر الخليلي آثاراً كثيرة في مختلف الجوانب وهو يعتبر من الكتاب العراقيين البارزين في الساحة الصحفية، ولعل ما كان يحببه في العمل بميدان الصحافة -في بداية مشواره الصحفي- هي المنشورات الثورية والاصلاحية آنذاك.. ولكن بدايته الصحفية كانت في عام (١٩٢٤م) -عندما كان معلماً في مدينة الحلة في (مدرسة الحلة الابتدائية الأولى)- حيث أصدر جريدة مع بعض زملائه كانت تكتب على الآلة الطابعة ويطبع منها ما لا يزيد على (٨) نسخ وتقع في (٢٤) صفحة، ومن زملائه المشاركين له في التحرير كان الأستاذ عبدالستار القرغولي والأستاذ فريد توما والسيد قاسم العطار،

الهاتف
بعض الذين ساهموا في تحرير هذا العدد

وكانت أدبية بحتة.

ثم شارك في تحرير مجلة (الحيرة) الشهرية التي صدرت عن الشيخ عبدالمولى الطريحي حيث حرر القسم المدرسي فيها وقد صدرت منها أعداد ثلاثة فقط. ثم أصدر الخليلي أول جريدة خاصة به هي (جريدة الفجر الصادق) وكان حينها مدرساً في النجف فأنذر لهذا السبب بأنه لا يجوز ان يصدر الموظف جريدة؛ فأغلقت

بأمر اداري لمخالفتها القواعد الإدارية بعد سنة من صدورها.

وبعد ثلاث سنين من اغلاق جريدة (الفجر الصادق) أصدر جريدة (الراعي) ولكنها أغلقت بعد سنة أيضاً؛ لأنها شاركت في الحركات الاصلاحية التي تزعمها يوم ذاك الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، وتطور الأمر الى نزاعات سياسية، ولوحق الخليلي بسببها شهوراً لاتهامه بالعمل مع الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي كان يقود الحركة الاصلاحية في وجه الحكومة أنذاك، وبعدها ترك الخليلي السياسة وأصدر جريدة (الهاتف) عام (١٩٣٥م) في النجف، وكانت حربا على التقاليد والأوضاع المضرة بالمجتمع، كما كانت تهتم بالنتاج الأدبي ولاسيما القصة العراقية الواقعية، وقد نال بسببها الشيء الكثير من الأذى بسبب مواقفه هذه، كما واجه الخليلي الكثير من المتاعب في اصدار صحيفته الهاتف من ضنك وعسر مع زيادة في تكاليف الطباعة والورق، مع قلة مواردها، وبالرغم من هذه المتاعب حرص الخليلي كل الحرص على استمرار صدور صحيفته (الهاتف).

الهاتف ودورها الأدبي

كان لصحف الخليلي هذه وبخاصة جريدة الهاتف فضل كبير على كثير من مشاهير الادباء والشعراء في العراق والعالم العربي، فقد كانت تأتيها المشاركات الأدبية من مصر وسوريا ولبنان وشمال أفريقيا، فكانت أشبه بمنتدى أدبي يلجأ اليه الشعراء والادباء في كتابة أروع القصائد الشعرية وأمتع القصص وأروعها، كما كانت أولى الصحف العراقية التي فتحت الباب أمام الأديبات والشواعر من النساء.

وكان الخليلي يطالب الدولة العراقية والجهات المسؤولة انذاك بدعم وتنظيم عمل الصحافة الاجتماعية كجزء من مشروع وطني شامل للاهتمام بالعقل العراقي العميق. كما جاء في مقال له في صحيفة الهاتف: (ان الصحف الادبية والاجتماعية اجدى نفعاً من الصحف السياسية لكونها اكثر فاعلية وقدرة ثقافية وعلمية على تنمية ثقافة الشعب).

كما كتبت مجلة الثقافة التونسية (١٩٦٣م) كلمتها في حقه وحق جريدة الهاتف ما نصه: (... الأستاذ الخليلي صاحب مجلة الهاتف العراقية التي خدمت الأدب العربي في وادي الرافدين سنوات طويلة وهو من كبار القصاصين في العراق ومن أدقهم في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة مشاكلها وتصوير واقع المجتمع العراقي بصدق وفن وبراعة).

فلكيات..

الحلقة الثانية

ولادة الهلال

المهندس محمد علي الصائغ

تحت الشعاع (تحت شعاع الشمس)

إن القمر في آخر الشهر القمري يبدأ بالاقتراب من الشمس تدريجيّا حتى يختفي تحت شعاع الشمس، ثم يستمر بالاقتراب من الشمس ظاهريّا أكثر فأكثر حتى لحظة الاقتران.

ثم تبدأ رحلة الخروج من تحت الشعاع حيث يتكوّن على القمر قوس النور، فتبدو لنا حافّة النصف المضيء (المقابل للشمس) أو حافّة وجه القمر المضيء بسبب الشمس، لكن دقّة قوس النور (سمك الهلال) تمنع الراصد من رؤيته بسبب قوّة نور الشمس وضعف نور الهلال الجديد وقربه من الشمس إلى أن يسير في المدار ويبعد عن الشمس بقدر يصير معه قابلاً للرؤية بشكل هلال.

المحاق:

وهو مرحلة اختفاء الهلال عن الأبصار في فترة الدخول تحت الشعاع ثم الاقتران، وتستمر حتى الخروج من تحت الشعاع.

ثم إن فترة الدخول تحت الشعاع تساوي فترة الخروج من تحت الشعاع، ويسمي البعض (تحت الشعاع) بجزأيها باسم المحاق، وذلك بلحاظ انمحاق نور القمر، علمًا بأن فرصة رؤية الهلال فجراً في آخر الشهر تكون أسهل (مع تشابه العوامل) من الرؤية مساءً بسبب قلّة التلوث الناتج من حركة الناس ودخان المصانع، مع ملاحظة فارق بينهما وهو أن الفترة السابقة للدخول تحت الشعاع يُرَى فيها الهلال عند الفجر، وإن الفترة التالية للخروج من تحت الشعاع يُرَى فيها الهلال عند المساء.

إن مدة المكث تحت الشعاع تبدأ من خروج القمر من الاقتران إلى أن يسير في المدار ما يقرب من اثنتي عشرة درجة، وهو ما كان يراه الشيخ البهائي (قدس سره)؛ وحيث إن سير القمر في المدار يستغرق ما يقرب الساعتين في كل درجة، فإذن يخرج القمر من تحت شعاع الشمس بعد أربع وعشرين ساعة تقريبًا، كما وأن المحاق يبدأ عندما يتناقص البعد الزاوي بين الشمس والقمر إلى اثنتي عشرة درجة فما دون، فتكون

فترة المحاق أو تحت الشعاع بهذا التقدير حوالي ٤٨ ساعة، وقدّر بعض الفقهاء المتأخرين الفترة بست وثلاثين ساعة: من جهة أنه ثماني عشرة ساعة قبل الاقتران ومثلها بعده.

ولادة الهلال (خروج القمر من تحت الشعاع):

وهي خروج القمر من تحت الشعاع وتوفّر الحدّ الأدنى من النور الذي يجعله قابلاً للرؤية والذي تحدّده الحسابات.

وتتوفر الآن على الصعيد العلمي عدّة ضوابط لعلماء مسلمين ولعلماء غربيين مبنية على أسس علمية، بتحققها يمكن القول بإمكانية رؤية الهلال وهي تراكمات لجهود علماء قدامى ومعاصرين.

إن الخروج من تحت الشعاع يحدث في وقت واحد بالنسبة لسكان الأرض، أما رؤية الهلال فإنها تختلف من موقع لآخر، فإذا غربت الشمس وكان القمر قد خرج من تحت الشعاع أمكنت الرؤية، والرؤية تكون عسيرة للغاية إذا كان القمر قد خرج للتوّ من تحت الشعاع، وكلما كانت الفترة بين الاقتران وغروب الشمس أطول، زادت فرصة رؤية الهلال عيانًا، وأحيانا تكون الفترة طويلة، ومع ذلك لا يتكوّن النور الكافي في الهلال، أو يكون ارتفاعه فوق الأفق قليلاً بحيث لا تمكن الرؤية في بعض الأماكن.

ولا بد من الإشارة إلى أن إمكانية رؤية الهلال لا تختلف من مكان لآخر فحسب، بل من شهر لآخر؛ إذ إن الهلال القابل للرؤية في اليمن قد لا يرى ببغداد، أو إن الهلال قد يرى في إندونيسيا ولا يرى في بيروت.

ويمكن حساب وقت ولادة الهلال رياضيًا، وهو وقت الخروج من تحت الشعاع، حيث تمكننا العلوم الحديثة والمعطيات المتوفرة والأرصاد المدونة الموثوقة من إعطاء ضابطة.

رؤية الهلال صباحًا:

مما تقدم يتضح أن الهلال إذا شُوهِدَ صباحًا، فمن المستحيل أن يُرَى بعد غروب الشمس في نفس اليوم؛ وذلك لأن الهلال المرئي صباحًا يدل على أن الهلال لم يدخل تحت شعاع الشمس بعد، وبالتالي فإنه يحتاج إلى فترة زمنية للدخول تحت الشعاع، ثم فترة أخرى مثلها للخروج من تحت الشعاع، وهذه الفترة على أقل التقادير المسجلة تبلغ حوالى ٣٠:٤٨، وبالتالي فإن فترة النهار بين شروق الشمس وغروبها أقل من هذا الوقت بكثير، لذا لا تلتمس رؤية الهلال في نفس اليوم.

عمر الهلال عند الرؤية:

لقد اختلف الفلكيون في تحديد الزمن اللازم مروره من وقت الاقتران إلى وقت التمكّن من رؤية الهلال رؤية بصرية في الجوّ الصحو تمامًا وبالبصر الطبيعي والحواس السليمة.

ولما كان الهلال القابل للرؤية يرتبط بمجموعة شروط منها «البعد الزاوي» - أو «بعد سُوى»

كما كان يسمى في التراث الإسلامي - والمكث بعد غروب الشمس، وارتفاع الهلال، وكذلك لمكان القمر في المدار حول الأرض (الأوج أو الحضيض)، ولعرض القمر دور في سرعة زيادة النور في الهلال، كما أن لحالة الجو وحدّة البصر والخبرة بالمنزلة أثرها الكبير في إمكانية الرؤية.. ولذلك كلّه قد يرى الهلال في ظروف وقد لا يرى في ظروف أخرى.

أقل عمر أو أقل مكث للهلال كي يرى عند غروب الشمس:

مكث الهلال: هو الفترة الزمانية بين وقت غروب القمر وغروب الشمس، وفي الليلة الأولى لرؤية الهلال يكون مكثه أقل من ساعة، لذا يقاس بالدقائق الزمنية، وكلما كان مكث الهلال فوق الأفق أكثر، كانت الرؤية أسهل، وتصعب الرؤية كلما قلّ زمن مكث الهلال بعد غروب الشمس حتى تصبح مستحيلة عندما لا يكون هناك مكث للهلال، أي إن القمر يغرب قبل غروب الشمس، ويشار إلى الحالة الأخيرة في الجداول بالعلامة السالبة (-):

١- أقل فترة منقضية الاقران حتى غروب الشمس (عمر الهلال) كانت ١٥:٢٤ ساعة ومكث ٢٢ دقيقة، وتبين للباحثين أن هذه القراءة كانت لهلال رُصِدَ فجرًا سجّلها جوليوس شميث بالعين المجردة عام ١٨٧١م، والبحوث الحديثة أفادت بإمكانية رؤية هلال عمره أقل من هذا، ولكن المكث الضئيل (٢٢ دقيقة) لم يتحقق للآن.

٢- أما باستخدام المنظار الثنائي (المزدوج العينية) فكانت ١٣:٢٨ ساعة.

٣- وأما باستخدام التلسكوب (المقراب) فكانت ١٢:٠٧ ساعة.

٤- الشيخ بهاء الدين العاملي: ٢٤ ساعة (النظرية القديمة).

٥- بعض الفقهاء المعاصرين: ١٨ ساعة، والمفهوم أن هذه أقل فترة بدءاً من الاقتران تقبل بعدها الشهادة بالرؤية، بحيث ترفض الشهادة إذا كان عمر الهلال أقل منها، فهي شرط استبعادي، ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا الشرط قلما يطبّق.

٦- الخواجا الطوسي: البعد المعدل ١٠ درجات أو ما يعادل مكثًا قدره ٤٠ دقيقة.

٧- ابن الشاطر: ٢١:٤٩ ساعة ومكثًا قدره ٥٠ دقيقة.

٨- أما بالرصد بالأجهزة الحديثة المبرمجة بالأقمار الصناعية والتي تتجه نحو قرص القمر بدقّة، فقد صار بالإمكان رؤية الهلال قبل الغروب وبعمر ١٢ ساعة تقريبًا بعد الاقتران مع توفّر شروط وظروف الرؤية القياسية (صفاء الجو...).

فتبين - وفقًا لنظرية القدامى - أن عمر الهلال الوليد يجب أن لا يقل عن ٢٤ ساعة كي

يكـون قابـلاً للرؤيـة، لأن القمـر يقطـع درجتـين مـن مـداره في السـاعة في المعـدل، وفي الدراسـات الحديثـة تـمّ رصـد هـلال بعمـر أقـل مـن هـذا بكثـير، وذلـك مـن قبـل مختصّـين.

ملاحظة: إن معيار العمر هام لقبول الشهادة بالرؤيـة أو ردّهـا ولكـن لا يمكـن الاعتـماد عليـه لتأكيـد دخـول الشـهر الجديـد.

إضاءة القمر تعتمد على البعد الزاوي:

تعتمـد إضـاءة جـزء القمـر المرئي لنـا من سـطح الأرض عـلى بعـد القمـر الـزاوي عـن الشـمس، وعندمـا يكـون الهـلال في ليلتـه الأولى تكـون إضاءتـه خافتـة للغايـة، وعندمـا يكـون بـدرًا تكـون الإضـاءة كاملـة، أمـا عندمـا يكـون في التربيـع الأول أو الأخـير فتكـون مسـاحة الجـزء المـضيء (٥٠٪) خمسـين بالمائـة (أي إنّ نصـف مسـاحة الوجـه المقابـل لنـا مـضيء فقـط).

إن إضـاءة القمـر العظمى تحـدث عندمـا يكـون بـدرًا، أمـا عندمـا يكـون في الربـع الأول أو الأخـير فالمتوقـع أن تتناسـب الإضـاءة مـع المسـاحة، فتكـون إضـاءة القمـر في الربـع الأول تسـاوي نصـف إضـاءة البـدر، فمـع أن مسـاحة الجـزء المـضيء مـن القمـر هـي نصفـه، إلا أن المشـاهد أن الضـوء المنعكـس لا يتعـدّى (١٠٪) العـشرة بالمائـة مـن الإضـاءة العظمـى، وهـذا النقصـان الحـادّ في اللمعـان يحـدث بسـبب وعـورة سـطح القمـر الـذي يـؤدي في حـال السـقوط المائـل للأشـعة إلى تظليـل شـديد في المنخفضـات بينـما يعطـي السـقوط العامـودي إضـاءة كافيـة.

وهـذا يفـسر لمـاذا تكـون إضـاءة الهـلال في الليلـة الأولى ضعيفـة للغايـة وخصوصًـا عندمـا تكـون إضاءتـه حـوالي سـبعة بالألـف، أي إن الجـزء المضـاء حـوالي سـبعة بالألـف مـن جـرم القمـر المرئـي وهـي إضـاءة الهـلال المحسـوبة في أول أو آخـر الشـهر القمـري.

إن إضـاءة الهـلال المحسـوبة رياضيًـا في أول أو آخـر الشـهر تقريبيـة، وتظهـر أخطـاء معتـبرة خصوصًـا عندمـا تقـلّ الإضـاءة حسـابيّا عـن سـبعة بالألـف، وذلـك بسـبب عوامـل ثانويـة تتسـبّب بهـا خـواصّ السـطح القمـري التـي تجعـل المسـاحة المرئيـة فعليّـا أقـلّ ممـا تتنبّـأ بـه المعادلـة الرياضيـة.

لـذا فـإن اسـتعمال كميـة إضـاءة القمـر يـؤدي إلى أخطـاء جسـيمة في تقديـر زمـن رؤيـة الهـلال الجديـد كـما يقـول الدكتـور نضـال قسـوم في كتابـه إثبـات الشـهور الهلاليـة، وهـذه المشـكلة لا تحـدث لـو كان سـطح القمـر متجانسًـا.

[باحث في الهيئة والمواقيت والأهلة]

رسالة للحسين

الشيخ أحمد الوائلي

أيها الرملة التي حضنت ... جسم الحسين ولفعته رداء
بلغي عني السلام حسيناً ... واحملي اني استغاثةً ونداء
واسكبيني دمعاً على رملك ... الأسمر يجري بمحبة وولاء
وامزجيني بآهة نفثتها ... زينب يوم قاست الأرزاء
وبآهات نسوةٍ منذ يوم ... الطف الآن الهبت كربلاء
خبريه بأنني لم اعد اقوى ... على حمل ما اردت اداء
لم اعد ذلك النعي الذي ... يحمل ذكراه لوعة وشجاء
ويناغي بوجده ساجعات ... كم حملن الحنين والاصداء
واواسي به النبي واشجي ... لعلي واسعد الزهراء
عشرات السنين وهو بثغري ... نغمٌ عاش يسحر الاجواء
نغمٌ يحمل البطولة والامجاد ... في كل ما بها والفداء
ويحث الدنيا لتزرع اغلى ... تضحيات وتحصد الآلاء
رغم ان المصاب شيء يفوق الوصف ... وقعاً ويعجز الاحصاء
وسمار السرّاء لا تتأتى دون ... ان يحتسي الفتى الضراء
سيدي، إن لي إليك انتماء ... و لو اني لا ابلغ الانتماء
فطموحات الطين والحمأ المسنون ... هيهات تبلغ الجوزاء
غير اني ادعي بكم وأُمني ... النفس ان تسعد المُنى الادعاء
فأعدني إلى رحابك يا من ... يحمل النُبل كُله والوفاء
واسأل الله يا دماً بارك الأرض ... و ارض بما توخى السماء
سَلهُ دفع السُّقام عني بلطف ... منه عم الدنيا ويشفي الداء
فيداه مبسوطتان لمثلي ينفق ... الفضل فيهما كيف شاء
يا حسينُ يا من شدوتُ به صبحاً ... وناجيته بوجدي مساء

لـــك مـــني رســـالـــة مـــن أنـــينٍ
في تـضـاعـيـفـه سـكـبـتُ الـرجـاء

أتـــقـــرّى بـهـــا جـــــداكَ مُـلـحـاً
وأرجـــو مـن الحـضـور الـدُّعـاء

وأنـــادي أي مـــن تخـذت ضحايا
سُـــلّـــم المـجـد ســـادةً شـهـداء

إن أجـــواءنـــا ظـــلامٌ فَـعـلِّـمـنـا
بـــأن نـــسرج الـــدمـــاءَ ضـيـاء

وتـقـبـل مـنـا مـــواســـمَ قـامـت
لـتـواسي الأئـمـة الأصـفـيـاء

وأَعـــدنـــا لـلـصـاعـداتِ وألهـمـنـا
بـــأن نـحـمـل الحـســين لـــواء

في الغدير

الشيخ الحر العاملي

هـدايـة ربّ الـعـالـمـين قـلـوبـنـا
إلى حـبّ مـن لم يخلق الخلق لـولاه

هـو الجوهر الفرد الـذي ليس يرتقي
لأعـلـى مـقـامـات الـنـبـيـين إلّا هُـوْ

هـلال نـما فـارتـد بـــدراً فـأشرقـت
جـوانـب آفـــاق الـعـلا بـمـحـيـاه

هـمـا عـلّـة لـلـخـلـق أعـنـي محـمّـداً
وأوّل مـن لـمـا دعـا الخـلـق لـبـاه

هـوى النجم يبغي داره لا بل ارتقى
إليها فمثوى النجم من دون مثواه

هـل اخـتـار خـير المرسـلـين مواخيا
ســـواه فـــأوّلا الـكـمـال وآخـــاه

هـل اخـتـار في يـوم الـغـديـر خليفة
ســـواه لـه حـتّـى عـلـى الخـلـق ولاه

هـدى لاح مـن قـول الـنـبـي ولـيّـكـم
عـلـي ومـولى كـلّ مـن كـنـت مـولاه

هـنـاك أتـاه الـوحـي بـلّـغ ولا تخف
ومـن كـلّ مـا تخـشـاه يعصمك الله

هنا لك أبـدى المصطفى بعض فضله
وبـاح بـمـا قـد كـان للخوف أخفاه

قل للمعاند قد ضللت

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

قل للمعاند قد ضللت جهالة ... سفهاً لعقلك من عنود جاهل
أعماك غيك أن ترى نور الهدى ... فتسير في نهج البصير العاقل
أمن العدالة أن يُؤَخَّرَ سابقٌ ... ويقدَّم المفضول دون الفاضل
هذي فضائله وذي آثاره ... سطعت بآفاق الهدى كمشاعل
فتصفح التأريخ فهي بوجهه ... غرر صباح نظّمت كسلاسل
ينبئك من واسى النبي محمّداً ... بمواقف مشهودة وغوائل
وفداه عند مبيته بفراشه ... في نفسه فوقاه شرّ الباطل
ومن الذي أردى الوليد وشيبة ... في يوم بدر بالحمام العاجل
وبيوم أحد من طغت عزماته ... فرست جبالاً في الزحام الهائل
من فرّق الأحزاب حين تجمعت ... فرقاً وما في القوم غير الناكل
ورمى على وجه الثرى أصنامها ... لما رقى من فوق أشرف كاهل
وبكفّه حصن اليهود قد اغتدى ... متلاطماً كالموج فوق الساحل
ومن الذي ردت له شمس الضحى ... لما أشار لها ارجعي في بابل
وفضائل ليست تعد وهل أتى ... والنجم والنبأ العظيم دلائلي
عميت عيون لا ترى شمس الضحى ... عند استقامة كل ظل مائل

يا نفس:

ما هذه الحيرة والسبيل واضح، وما هذه الغفلة والمشير ناصح، إلى كم تجمعين ولا تقنعين، ولوارثك تودعين؟!.. (شعر) :

وأنت كمن يبني بناء وغيره ... يعالجه في هدمه ويسابق

وينسج آمالا طوالا بعيدة ... ويعلم أن الدهر للنسج خارق

يا نفس:

أتفرحين بنعيم زائل، وسرور راحل؟! غفلت وأغفلت، وعلمت فأهملت، إلى كم مواظبتك على الذنوب، وأنت بعين علام الغيوب؟ فجمعك في هذه الدنيا إلى تفريق، وسعتك إلى ضيق، فما هذه الطمأنينة وأنت مزعجة، وما هذا الولوج وأنت مخرجة؟!.. (شعر):

أترجى نجاة بعد سبعين حجة ... ولا بد من يوم تعقك العوائق

ومن طرقته الغاديات بويلها ... فلا بد ما يأتيه فيها الصواعق

وليس أبناء السبعين، بأحق بالحذر من أبناء العشرين؛ لان طالبها وهو الموت واحد، وليس عن الطلب براقد، واعملي لما أمامك من الهول، ودعي عنك زخرف القول.

يا نفس:

أما رأيك فعازب، وأما رشدك فغائب، داؤك لا يرجى له دواء، وأملك ليس له انتهاء، قد فتنت بعملك، وخضت في بحار زللك، فقدمي التوبة، قبل أن تبلغك النوبة، واعملي للخلاص، قبل الاخذ بالنواص.

محاسبة النفس اللوامة/ الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي

: 07723958163

: aldrasat@alkafeel.com

مجلة أوراق معرفية

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع
+964 770 673 3834
dak-4109